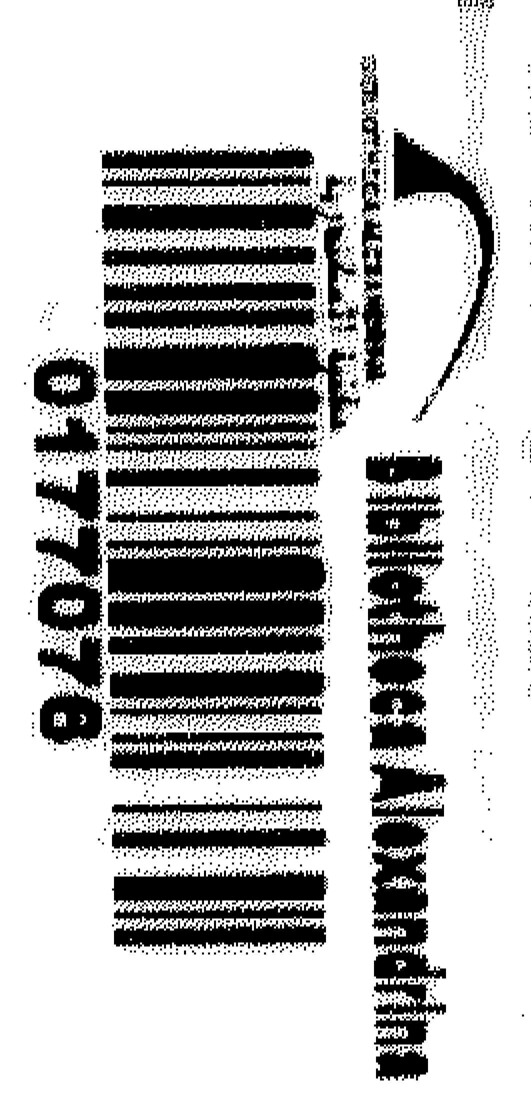
الخاندرو كاسونا

سَيِّدة الفجْر

ترجمة : علي الأشقر

مراجعة : الدكتور خالد الصّوفي



أدبْ / مَسْرَح

الخاندرو كاسونا

سَيِّدةُ الفجْرُ

ترجمة : علي الأشقر
مراجعة : الدكتور خالد الصّوفي

أدَبٌ / مَسْرَح

هـ/١/الا٤٠٤

مقدمة

هذه المسرحية تتناول من احدى زواياها ، موضوعاً ميتافيزيقياً ، وهو مع ذلك ليس بعيداً عنا ، بل هو قريب كل القرب يمس وجودنا في كل لحظة ، ولا ينقضي يوم دون أن نلتقي به ونرى نتائجه وآثاره .

الموت ، وهو الطرف الثاني الذي يحد حياتنا الأرضية ، يكتسب هنا صورة متفائلة محببة ولطيفة ، وهو ليس موتاً رهيباً مرعباً ، بل هو موت إنساني ودود ، صديق الناس المساكين وذوي الضمائر النقية يحمل العزاء لكل نفس من النفوس كما حملها الى كل شخص من أشخاص هذه المسرحية .

ولا يشطن بنا الخيال بعيداً فنظن أن الموت عولج هنا معالجة ذات طابع فلسفي مجرد . ولكنه جُسّد بصورة امرأة سنعرفها باسم « الحاجة » . وسيتبين أن هذه الحاجة تتمنى أن تتزين بالورود

مثل القرويات . وتتمنى أن يكون لها زوج تحبه أيضاً ، ولكنها بحكم وظيفتها لا تقدر على ذلك .

وهذا التجسيد للموت بصورة امرأة له مايبرره في المسرحية ، لأن لفظة الموت Muerte مؤنثة في اللغة الاسبانية . ولم لا؟ فالمسلمون يعتقدون أيضاً أن الموت سيتجسد يوم القيامة بصورة كبش يذبح بعدئذ اشارة الى انتهاء الموت ذاته !!

الكاتب لم يبحث اذن عن ماهية الموت وما بعد الموت من شؤون القبر والحساب والعقاب ، وهو يعترف صراحة على لسان احدى الشخصيات مخاطبة « الحاجة » ، يعترف بعجزه عن ادراك كنه هذه الأشياء : .

— اني لا أعرف عنك أكثر مما يعرف الكلب والحصان .

والموت ذاته يتكلم على لسان هذه الحاجة التي تجسده في ردها على الجد العجوز :

— لا يأخذنك الغرور ايها الجد . ان الكلب لا يعقل ، وقد عرفني قبل أن تعرفني أنت .

حوادث المسرحية تجري في عالم ضبابي من الخيال والحلم ، ولكنه لا يفقد صلته بالواقع العميق . ولكن الخيال والحلم يلعبان دوراً كبيراً في مجرى حياتنا النفسية . وليس المهم بعد ذلك ان

يصبح هذا الحلم حقيقة أم لا ، بل حسبه أن يكون جميلاً . لقد قال المؤلف على لسان الحاجة في حوارها مع أنخيليكا التي رجعت بعد أن أنهكتها حياة المدن وأمضها الهجر :

أنخيليكا - الى أين أستطيع الذهاب .. ان لم يكن ..؟

الحاجة - الى انقاذ الشيء الوحيد الذي تبقى لك ، ألا وهو الذكرى .

أنخيليكا - مافائدة ذلك ، ان كانت تلك الذكرى مزيفة ؟

الحاجة - ولكنها جميلة ، والجمال لون آخر من ألوان الحقيقة .

وبعد ، فسيدة الفجر (١٩٤٩) ، ومسرحية « القارب بدون صياد » تمثلان قمة انتاج كاسونا المسرحي . ويأتي بعدهما : الاشجار تموت واقفة ، ثم : الانتحار محظور في ربيع . وأخيراً : الصفارة معطلة (١٩٣٣) .

أما عن المؤلف فقد ولد سنة ١٩٠٣ . درس المسرح وعمل في احدى الفرق المسرحية الشعبية المتجولة في اسبانيا بالاشتراك مع لوركا ، وخيراردو وديبغو وغيرهما .

كتب أول مسرحية عام ١٩٣٣ ، وقد فتحت له أبواب المسرح على مصراعيه . وعلى أثر أحداث سنة ١٩٣٦ غادر اسبانيا الى بلاد أمريكا اللاتينية ، وظل فيها حتى أيار سنة ١٩٦٤ .

كاسونا ، لاشك، علم من أعلام المسرح في القرن العشرين ، وهو يسير جنباً الى جنب مع بيرانديللو وأونيل ، ومسرحيته هذه ، سيدة الفجر ، ترجمت الى أكثر لغات العالم حتى الروسية منها .

بقيت كلمة أخيرة عن الترجمة . ان ترجمة العنوان : La Dama del Alba ، بعبارة « سيدة الفجر » ، فيه نقص طفيف لأن كلمة . Dama . تعني في الاسبانية ، أكثر من مجرد سيدة عادية . انها تعني سيدة من سيدات المجتمع البارزات . ولما كنا لانملك تعبيراً خاصاً بذلك ، أو على الأقل لا أعرف تعبيراً مماثلاً ، فقد ترجمتها « سيدة » . وسيلاحظ القارىء ازدواجية العبارة في بعض الأماكن : جملة طويلة ثم جملة قصيرة تلخصها .

تسيطر على المسرحية في الأساس نغمة غنائية هادئة جميلة . وقد حاولت الحفاظ عليها ما استطعت الى ذلك سبيلاً . حتى أني ضحيت في بعض الأحيان القليلة بحيوية العبارة في سبيل الموسيقى . كما أني اضطررت الى ترك عبارتين أوثلاث دون ترجمة وهي لاتؤثر في كثير أوقليل على سير أحداث المسرحية أومحتواها .

المترجم

الفصل الاول

في مكان ما من استرياس في اسبانيـا . الزمن غير محـدد . في الدور الأول من منزل ريفي يشع رفاهية ونظافة. بناء محكم من الحجر المجصص ، والخشب الرفيع . في نهاية المسرح باب عريض ونافـذة يطلان على الحقل . في الجهة اليمنى بداية سلم يؤدي الى الغرف العلياء وفي النـاحية الاولى من الجهة نفسها باب الخروج الى الحظيرة . في الجهة اليسرى ، باب الدخول الى المطبخ ، وفي الناحية الأولى منه مدخنة الحطب الكبيرة مزدانة برفوف مع آنية ريفية . منجل مسند على جدار نهاية المسرح . اثاث قروي من شجر الجوز وساعة حائط قديمة . حصر سميكة من الحلفا ممددة على الأرض . الوقت ليـــل . ضوء مصباح .

الأم ، الجد ، الأحفاد الثلاثة (آندريس ، دورينا ، وفالين) ينجزون عشاءهم. تيلفا ، الخادم العجوز، تقوم على شؤون المائدة..

* * *

الجد ــ (وهو يقطع الخبز) لايزال لب الخبز ساخنـاً . وله رائحة الرتم[1] المزهر .

---

(١) الرَّتم بفتح الراء والتـاء ضرب من الشجر زهره كالخيريّ ، أبيد المنثور الاصفر وبزره كالعدس ، الواحدة رتمة (أقرب الموارد للشرتوني) .

تيلفا ـ رائحة الرتم وغصون الكرمة الجافة ، لايوجد حطب افضل منهـا لتحمية الفرن . وماذا تقول لي عن لونه الذهبي ...؟.. انه آخر

الجد ـ ان الطحين جيد ، غير انك تكيفينه. لك يدان خلقهما الله خصيصاً لصنع الخبز .

تيلفا ـ وماذا عن الرقائق المسكرة ...؟ وحلوى البيض ...؟ .. فأنت مغرم بهـا مبللة بالخمر الدافىء شتاء . « تنظر الى الأم المستندة بمرفقيها الى المنضدة ، كأنها غائبة » ألن تتناولي شيئاً ياسيدتي ؟

الأم ـ لا أريد شيئاً .

(تيلفا تتنهد راضخة . تسكب اللبن في صحف الاطفال)

فالين ـ هل يمكنني وضع قطع صغيرة من الخبز في الحليب ؟

آندريس ـ وأنا ، هـــل استطيع أن آتي بالقط ليأكل معي على المنضدة ؟

دورينا ـ انمكان القط هو المطبخ. فأرجله ملوثة دائماً بالرماد .

آندريس ـ مادا يعنيك أنت اذا كان القط لي ؟

دورينا ـ ولكن ، أنا التي تغسل غطاء المائدة .

الجد ـ افعل ما تقوله لك شقيقتك .

آندريس ـ لماذا ؟ أنا اكبر منها .

الجد ـ ولكنها انثى ..

آندريس ـ هذا ما يحدث دائما . فالمرء يريد أن يأكل على المنضدة فتمنعونه ، وأنا ارغب في تناول طعامي على الارض فلا تدعونني .

تيلفا ـ عندما تصبح كبيراً ، تأمر في بيتك .

آندريس ـ أجل . أجل . انكم ترددون العبارات نفسها كل عام .

فالين ـ ومتى سنصبح كباراً ياجدي ؟

الجد ـ حالما تعرفون القراءة والكتابة .

آندريس ـ ولكنا لن نعرف أبداً ، مالم تبعثونا الى المدرسة .

الجد ـ (الأم) ان الاطفال على صواب . لقد كبروا ،وينبغي ان يذهبوا الى المدرسة .

الأم ـ (كأنها فكرة تسيطر عليها) لن يذهبوا . فلكي يذهبوا الىالمدرسة لا بد ان يعبروا النهر . وأنا لا أريد أن يقترب اطفالي من النهر .

دورينا ـ كل الاطفال الآخرين ، حتى الفتيات أيضاً ، يذهبون اليها . فلماذا لانستطيع نحن عبور النهر ؟

الأم ـ ليت أحداً من هذه الاسرة لم يقترب منه .

تيلفا ـ كفانا كلاماً عن هذه الاشياء (الى دورينا وهي تجمع

الصحاف) ألا تريدين ان تصنعي قرصاً من الذرة ؟ فسوف يبرد الفرن .

آلدريس ـ (ينهض وبه رغبة ليعمل شيئاً) سنلهبه مرة اخرى .. وانا سأساعدك ..

فالين ـ وانـــا .

دورينا ـ ايمكنني أن أضع عليه قليلا من العسل ؟

تيلفا ـ وان تضعي تحته ورقة تين ، كيلا يلتصق بالجمر . يجب عليك ان تتعلمي . فسرعان ماستصبحين امرأة وانت الوحيدة في هذا البيت .
(تخرج وايام الى المطبخ) ..

الام والجد

الجد ـ ينبغي ألا تتكلمي عن هـــذا الموضوع امامهم . انهم يستنشقون دائماً هواء القلق الذي يمنعهم من الحياة الصحيحة .

الأم ـ لقد كانت اختهم واريد ألا يسلوها .

الجد ـ ولكنهم بحاجة الى ان يجروا تحت أشعـة الشمس ، ويضحكوا ملء افواههم . ان طفلا هادئاً ليس طفلا .

الأم ـ هم في مأمن بقربي على الأقل .

الجد ـ لاتجزعي ، ان المصيبة لا تتكرر في مكان واحد أبداً .
فكفي عن التفكير .

الأم ـ وهل تقوم أنت بشيء آخر غير التفكير ؟ بالرغم من
ان اسمها لا يمر على لســــانك ، فاني اعرف بماذا تفكر
عندما تجلس ساعات بأكملها صامتاً حتى تنطفىء اللفافة
وهي بين شفتيك .

الجد ـ وما جدوى النظر الى الوراء ؟ ان مامضى مضى والحياة
تتابع خطاها : ان لك بيتـاً يجب ان يعود الى السعادة
التي كان يرفل فيها من قبل .

الام ـ فيما مضى كان من الميسور ان يكون الانسان سعيدا .
لقد كانت هنا انخيليكا فحيثما تضع يدها ، كانت تحل البهجة .

الجد ـ تبقى لك الثلاثة الاخر . فكري بهم .

الام ـ انا اليوم لا استطيع ان افكر الا بانخيليكا فهذا يومها .
لقد وقع الحادث ذات ليلة مثل هذه . . . ومنذ أربع
سنين . .

الجد ـ اربع سنين ..!

(جاس ، وهو مطرق ، ليلف سيجارة ، قرب النار .
يدخل عامل الطاحونة من الحظيرة ومعه وردة يضعها
على أذنه عند الخروج) . .

كيكو ـ انها ليلة مقمرة ملائمة للسفر . لقد أسرجت الفرس .

الام ـ (ترفع رأسها) اسرجتها ؟ ومن طلب اليك ذلك؟

الجد ـ انا .

الام ـ وانت ، من طلب منك ؟

الجد ـ انه مارتن.فهو يريد ان يصعد الى المرعى لينتقي المجول التي سيعرضها في البازار .

الام ـ ولم يكن بد من ان يصعد الى المرعى هذا اليوم بالذات؟ في ليلة كهذه كان يستطيع بكل سهولة البقاء في البيت.

الجد ـ ولكن البازار غداً .

الام ـ (فيما يشبه الشكوى) فليكن ذلك ، ان كان هو يؤثر الذهـاب .

(تعود تيلفا) . .

كيكو ـ اتطلبين شيئا ياسيدتي ؟

الام ـ لاشيء . أذاهب انت الى الطاحونة الآن ؟

كيكو ـ ان العمل مستمر . واذا لم يكن هناك عمل ، فمن الممتع ان ينام المرء وهو يسمع غناء الماء وخشبة الطاحونة .

تيلفا ـ (بخباثة)علاوة على ان الطاحونة قرب مستودعات المختار . والمختار عنده ثلاث فتيات ، كل واحـدة منهن أسوأ

من الأخرى . يقال : انهن دبسسن السم للكلب لانه
كان ينبح حينما يتسلق الجدار ليلا بعض الرجال .

كيكو — يقال ويقال . . يقال ايضا : ان الجحيم مملوء بألسنة النساء . . أيتها العجوز الماكرة . وقاك الله منها ياسيدتي
(يخرج وهو يحدث صفيرا بشفتيه)

تيلفا — اجل ، أجل ، انها خباثات .. تحسبني كأني ولدت بالامس . . عندما يتوجه الى الطاحونة يتصاعد شرار الشهوة من عينيه ، وعندما يعود منها ، يعود وهو يترنح من التعب المرح .

الجد — ألن تسكتي ايتها المرأة ؟

تيلفا — (وهي ترفع الاوعية عن المائدة) اني لا أقول ذلك كي انهش لحم أحد . ان كنت اتكلم في بعض الاحيان كثيرا ، فذلك كيما أهدىء أعصابي . أحياة هذه ؟ فسيدتي تجلس وعيناها مسمرتان في الحائط ، وأنت تقبع في الزاوية صامتا كل الوقت . . والاطفال تروضوا الا يحدثوا أدنى ضوضاء كما لو أنهم يمشون حفاة .
اذا لم اتكلم انا ، فمن يتكلم في هذا البيت ؟

الام — ليس اليوم يوما للكلام بصوت مرتفع . فالافضل أن يتذكر المرء وهو صامت .

تيلفا ـ اتظنين اني نسيت ؟ الا ان الحياة لاتتوقف . بماذا يعود عليك اسدال الستائر ، والتأكيد على ان الظلام يحيط بنا ؟ ففي الجانب الآخر من النافذة تشرق الشمس كل يوم .

الام ـ بالنسبة لي كلا . انها لاتشرق .

تيلفا ـ اصغي الي ياسيدتي : افتحي غرفة الخيليكا على مصراعيها وأخرجي الى الشرفة (ملاءات) الكتان التي بردت تحت الغبار المتراكم .

الام ـ ليس للشمس نفسها حق دخول غرفتها . هذا الغبار هو الشيء الوحيد الذي تبقى لي من ذلك اليوم .

الجد ـ (الى تيلفا) لاتجهدي نفسك انها كمن انغرزت في جسمه شوكة ولا يطلب الشفاء .

الام ـ بوركت تلك الشوكة ! أفضل مائة مرة أن أحملها مسمرة في لحمي ، على ان انساها .

تيلفا ـ هذا غير صحيح . فان عدم التحدث عن شيء ليس معناه أننا لانحس به . حينما تزوجت ، كنت اعتقد أن زوجي لايحبني لانه ماهمس لي بكلمة عذبة ابداً . ولكنه كان يجلب لي دائماً اول عنقود في الدالية . وخلال سبعة اعوام قضيتها معه انجبت سبعة اطفال كلهم ذكور . فكل يتصرف على طريقته .

الجد ـ لقد كان زوجك رجلا بالمعنى الكامل للرجولة ، مثلما كان رجال هذا البلد دائماً .

تيلفا ـ كان صلباً مثل شجرة السنديان التي تحتاج الى كثير من الجهد لتنغرس فيها الفأس ولكن تلك الشجرة كانت تزهر كل سنة .

الأم ـ الزوج يجيء ويذهب فهو ليس قطعة من اللحم مثل الابن .

تيلفا ـ (تتوقف برهة عن عملها) تريدين ان تفهميني ماهو الابن ؟ لي انا ؟ لقد فقدت ابنة واحدة . حسناً . أما أنا فقد فقدت سبعة أبناء في يوم واحد . انتشلوهم من المنجم وقد تعفرت عيونهم بغبار الفحم واسودت اجسادهم منه . ثم قمت بغسل اجسامهم بنفسي ، واحداً تلو الآخر . ثم ماذا ؟ أأعمد بسبب ذلك الى أن اغطي رأسي بالحجاب واجلس لاولول عند الباب ؟ لقد بكيتهم واقفة وأنا أعمل . (يختنق صوتها لحظة ، تمسح دمعها بطرف مئزرها ، ثم تستطرد وهي تجمع اللاءات) ... ولما لم يعد باستطاعتي أن ألد آخرين غرست في بستاني سبع شجرات باسقات جميلات ، كأنها سبعة ذكور .

(تخفض من صوتها) وفي الصيف ، عندما اجلس في الظل لأخيط ، يخيل الي أني لست وحيدة .

الأم ـ ان الأمرين مختلفان . فأبناؤك تحت الثرى حيث ينبت العشب وتزدهر سنابل القمح . أما ابنتي فهي في الماء . هل تقدرين على تقبيل الماء ؟. هل يستطيع أحد أن يحتضنها ويرتمي باكياً عليها ؟ هذا هو الذي ينهش في دمي .

الجد ـ لقد فتش عنها أهل القرية جميعاً. وغاص خيرة السباحين الى أعمق اغوار الماء .

الأم ـ لم يبحثوا عنها بدقة ، والا لكانوا وجدوها ؟

الجد ـ لقد تكرر ذلك مرات عديدة ، ان النهر يبدو وكأن ليس له قاع .

تيلفا ـ يقال : ان هناك قرية بأسرها داخل الماء ، مع كنيستها وكل مايتعلق بها . . . وانه سمعت الأجراس احياناً، تدق ، أسفل الماء ، ليلة عيد القديس يوحنا .

الأم ـ اني لا أرضى لها أن تكون في النهر حيث يقذف الناس بالحجارة عندما يمرون، لا أرضى لها ان تكون في النهر ولو كان فيه قصر مشيد . ان الكتاب المقدس يقول : « الانسان تراب ، ولا بد أن يعود للتراب » . انني لن استطيع أن ارقد بسلام الا يوم يعثرون على جثمانها .

(يبدو مارتن وهو يهبط الدرج . شاب قروي قوي . يجيء وهو يرتدي قميصاً وبنطلونا وينتعل حذاء لصعود الجبال . يوضع في المسرح معطف يتدلى من مسمار .)

مارتن والمذكورون

مارتن - هل أعددتم الفرس ؟

الجد - لقد أسرجها كيكو قبل ان يتوجه الى الطاحونة .

(تيلفا تنظف الاغطية وتحمل الطبق الى المطبخ ثم تعود ومعها صحن الكرسنة)

الام - هل من الضروري ان تذهب الى المرعى هذه الليلة ؟

مارتن - اريد ان انتقي الماشية بنفسي . ثمانية عجول ذات اظلاف دقيقة وجباه بلون الزعفران . عجول لا بد أن تكون زينة سوق الدواب .

الجد - ان لم يزد الامر عن هذا فالوكيل يستطيع انجازه .

مارتن ـ هو لا يحبها كما أحبها أنا . عنـدما كانت صغيرة كنت أقدم لها الملح بيدي .

الأم ـ (معاتبة) ألم يخطر ببالك انني أحتاجك هذه الليلة اكـثر من أي وقت آخر . هل نسيت أي تاريخ اليوم ؟

مارتن ـ اليوم ؟. (ينظر الى الجد والى تيلفا التي تعود ... كلاهما يطأطئان برأسيهما. مارتن يفهم ويطأطىء رأسه ايضاً) . أجل !

الأم ـ أعلم انك لا تريد ان تتذكر . غير أني لا أطلب اليك ان تتكلم . ربما كفاني ان تجلس قربي صامتاً .

مارتن ـ (غير مبال) ان الوكيل ينتظرني .

الأم ـ هل هذا السفر من الاهمية بمكان ؟

مارتن ـ وان لم يكن . فمن الخير ان تزرع موسماً جديداً من ان تبكي على ما ضاع .

الأم ـ اني افهم ذلك . فأنخيليكا ظلت مخطوبة لك سنتين ولكنها لم تلبث كزوجة سوى ثلاثة أيام وهي فترة غير كافية لكي تحبها .

مارتن ـ لقد كانت زوجتي وكفى . ما احببتها خلال ثلاثين عاما الا تلك الايام الثلاثة .

الأم ـ (تتجه نحوه وتنظر اليه بامعان) إذن لماذا لا يمر اسمها على لسانك ابداً ؟
لماذا انزويت في بيتك بينما كانت القرية بأجمعها تبحث عنها ؟ (تتقدم اكثر) ولماذا لا تقابلني وجها لوجه عندما احدثك عنها ؟

مارتن ـ (متشنجاً) كفى !! (يخرج نحو الحظيرة) .

الجد ـ ستحملين مارتن على كره هذا البيت . فليس من الممكن ابقاء ذكرى كهذه مفتوحة دائماً كأنها فرح .

الأم ـ (مستسلمة بصورة محزنة) وانت ايضاً ؟ لم يعد احد يحبها ، لم يعد أحد .

(تجلس بتثاقل . تيلفا تقعد بجانبها واضعة سلة الكرسنة الصغيرة بينهما . يسمع في الخارج نباح كلب) ...

تيلفا ـ هل تبغين مساعدتي في تخليص الكرسنة (١) من بذورها ان هذا العمل مثل الصلاة بمسبحة خضراء . تتزحلق الأعداد بين الأصابع بينما يشرد الفكر .
(فترة صمت بينما تنزع الاثنتان البذور) ..

الأم ـ الى اين يطير فكرك يا تيلفا ؟

---

(١) الكرسنة : شجرة صغيرة لها ثمر في غلف تأكله الدواب (اقرب الموارد الشرتوني) .

تيلفا ـ الى الشجرات السبع الطوال . وفكرك يا سيدتي ؟

الأم ـ ان تفكيري مركز في الماء باستمرار .

(يسمع النباح ثانية) ..

تيلفا ـ ان الكلب ينبح بشدة .

الجد ـ وكأنه مثار . سيكون عابر طريق ؛ اذ انه يعرف سكان القرية من بعيد .

(يدخل الأطفال مهرولين وهم بين السرور والجذع).

المذكورون والاطفال

دورينا ـ انها امرأة يا أمي . لابد انها تائهة .

تيلفا ـ أقادمة الى هنا ، أم تتابع السير ؟

فالين ـ بل الى هنا ..

أندريس ـ انها تضع على رأسها طيلسانا ، وتحمل في يدهاهراوة مثل الحجاج .

(تدق مطرقة الباب .تيلفا تتطلع الى سيدتهامحتارة)

الام ـ افتحي لا يمكن اغلاق الباب ليلا في وجه عابرسبيل .

(تيلفا تفتح دفة الباب العليا ، وتبدو الحاجة) .

الحاجة ـ حفظ الله هذا البيت ، وجنب ساكنيه السوء .

تيلفا ـ آمين . أتبحثين عـن مأوى ؟ ان الفندق في الضفة الثانية من النهر .

الحاجة ـ ولكن الزورق لا يعبر النهر هذه الساعة .

الأم ـ دعيها تدخل . ان الحجاج لهم حق في النار وهم يحملون الطمأنينة الى البيت الذي يستقبلهم .

(تدخل الحاجة ـ تيلفا تعود لتقفل الباب) .

الحاجة والمذكورون

الجد ـ هل أضعت الطريق ؟

الحاجة ـ بل القدرة على متابعته . اني مقبلة من مكان قصي . والهواء بارد .

الجد ـ اجلسي قرب النار . ان كان باستطاعتنا ان نساعدك في شيء ... فالسبل لا تقدم لسالكيها سوى الجوع والظمأ . .

الحاجة ـ لا أحتاج شيئا . ان قليلا من النار يكفيني (تجلس قرب النار) كنت موقنة اني سألقاكم هنا .

تيلفا ـ ليس في هذا كثيرٌ من الحَدْس . لقد رأيت الدخان يتصاعد من المدخنة . أليس كذلك ؟

الحاجة ـ كلا . غير انني لمحت الاطفال وراء الزجاج ،فالبيوت
التي تضم أطفالا تشع الدفء دون انقطاع .

(تقذف الطيلسان الى الخلف فتسفر عن وجه جميل
شاحب تعلوه ابتسامة هادئة) . .

أندريس ـ (بصوت خفيض) كم هي جميلة .

دورينا ـ تبدو وكأنها ملكة من ملكات القصص .

الحاجة ـ (الى الجد الذي يراقبها متأملا) لماذا تحدق فيّ
طويلا ؟ أأذكرك بشيء ؟

الجد ـ لست ادري . ولكن ، اكاد اقسم انها ليست المرة
الاولى التي يرى أحدنا الآخر فيها .

الحاجة ـ هذا ممكن . فقد جبت كثيرا من القرى والمسالك .

(الى الاطفال الذين يتأملونها بفضول ، متشبثين
بأهداب ثياب تيلفا)

وأنتم ؟ سوف تتورم عيونكم ، ان لبثتم تنظرون
اليّ هكذا . ألا تجرؤون على لاقتراب ؟

تيلفا ـ أعذريهم ياسيدتي . فهم لم يعتادوا على رؤية بشر
غريب . وهم أقل اعتياداً على رؤياه في مثل هذه الثياب .

الحاجة ـ هل أبث فيكم الخوف؟

أندريس ـ (يتقدم بجرأة) بالنسبة لي لا . أمـا الآخران فهما أصغر مني .

فالين ـ (يتقدم وهو اكثر خجلا من أخيه) لم نر أبداً حجاجاً .

دورينا ـ أما أنا ، فقد رأيتهم في الصور . إنهم يضعون شيئاً مستديراً على رؤوسهم مثل القديسين .

أندريس ـ (في لهجة متعالية) ان القديسين عجائز وكلهم ملتحون . أما هي ففي أوج الشباب . لها شعر مثل شعر السنابل ، ويدان بيضاوان كأنها سيدة من النبلاء . .

الحاجة ـ هل تجدني جميلة ؟

أندريس ـ جداً . ان جدي يقول : ان الأشياء الجميلة تأتي دائماً من أمكنة بعيدة

الحاجة ـ (تداعب ذوائبه مبتسمة) شكراً لك ايها الصغير حينما تصبح رجلا ستلقى أذناً صاغية من النساء . (تتأمل البيت) أحفاد وجد ونار ملتهبة ، انه لبيت سعيد .

الجد ـ لقد كان سعيداً .

الحاجة ـ أهـــذا هو الذي يسمونه « بيت مارتن فارثيس » أليس كذلك ؟

الام ـ انه صهري . أتعرفينه ؟

الحاجة ـ لقد سمعتهم يتكلمون عنه . فتى يغلي بماء الشباب، زينة المحافل ، وهو خير فارس في المنطقة .

المذكورون ومارتن الذي يعود

مارتن ـ ان الفرس ليست في الحظيرة . فقد ترك الباب الكبير مفتوحاً وسميع صهيلها يتردد في الجبل .

الجد ـ لايمكن ان يحدث هذا .فقد تركها كيكو مسرجة .

مارتن ـ هل كان أعمى حينئذ ؟ ان المسرج هو المهر المحجّل .

الام ـ المهر ؟ (تنهض منتفضة) هذا غير معقول. انك حتما لن تفكر بركوب هذا الحيوان الذي يخاف حتى من وميض البرق !

مارتن ـ ولم لا ؟ فعلى كل حال يجب ان يكون هناك مرة أولى . أين المهماز ؟

الام ـ لاتتحدّ القدر ، إن الطرقات كلها مزالق ثلجية .. ومضيق رابيون شديد الخطر .

مارتن ـ انك دائماً مع مخاوفك . أتنوين حشري في احدى الزوايا مثلما فعلت بأولادك ؟ فقد سئمت ان ترعاني امرأة بنصائحها وان تخفي عني بنادق الصيد . (متحمساً) أين المهماز ؟

(تيلفا والجد يلتزمان الصمت . ترفعها حينئذ الحاجة عن المدخنة بهدوء) ..

الحاجة ــ أهذا هو ؟

مارتن ــ (يرنو اليه مدهوشاً . يخفض صوتـــه) استميحك العفو اذا تكلمت بصوت عـال فاني لم أرك (ينظر الى الآخرين كما لو أنه يسأل) .

الجـــد ــ انها تجتاز المسافات لتفي نذراً .

الحاجة ــ لقد قدموا لي ثارهم وأريد ان أكافئهم بعمل متواضع (تركع على ركبتيهـــا) أتسمح لي ؟.. تشدّ له المهاز .

مارتن ــ شكراً . (ينظر أحدهما الى الآخر لحظـــة وهما صامتان . هي ماتزال راكعة) .

الحاجة ــ إن آل ثارثيس كانوا دائماً فرساناً مُجِدّاً .

مارتن ــ هكذا يقال . أرجو لكِ سفراً سعيداً ربما لن أراك ثانية . وانت أيتهـــا الام ، نامي مطمئنة ؛ فانه لايعجبني أن ينتظرني احد اثناء الليل وضوء المصباح يشع من النافذة .

آندريس ــ ان ركاب فرسك معي .

دورينا ــ ومعي اللجام ..

فالـــين ــ لقد اجتمعت العدة . (يخرجون معه)

الام ، الجد ، الحاجة و تيلفا

تيلفـــا ـ (للأم) ان الذنب ذنبك . لازلت تجهلين طبـاع الرجـال ؟ لـكي يذهبوا من هنا ينبغي ان يقال لهم اذهبوا من هناك .

الام ـ لماذا ترغب النساء في الاطفال الذكور دائماً ؟ إن الرجال للعقل والحيل ، ولكن البنت هي التي تملأ البيت . (تنهض) اعذريني إذ أتركك ياسيدتي . إذا كنتِ تنوين أن تبيتي الليل هنا ، فلن ينقصك شيء.

الحاجة ـ لن أبقى إلا بعض الوقت لأستريح . يجب عليّ أن استأنف طريقي .

تيلفـــا ـ (ترافق الام حتى الدرج) أمنصرفة أنتِ لتنامين.؟

الام ـ لأكون وحيدة على الأقل ، لأن أحداً لايريد أن يسمعني . سأنزوي في حجرتي لأصلي . (صاعـدة) والصلاة كالصراخ بصوت خفيض .

(فترة صمت بينما تصعد . . الكلب يعاود نباحه)

تيلفـــا ـ ماذا جرى لك هذه الليلة ايها الكلب اللعين ؟

الجـــد ـ هو ايضاً غير معتادٍ على الناس الغرباء .

(تيلفا التي انتهت من فرك الكيرْسنة تمسك شغل التطريز)

الحاجة ـ ماذا تسمون هذا المضيق الجبلي الخطر؟

الجـــد ـ الرابيون .

الحاجة ـ الرابيون بجانب شجرة الكستناء الضخمة . أصحيح هذا ؟ لقد أحرقتها الصاعقة منذ مائـة سنة . ولكنها لاتزال هناك : جـذعها مُلْتَوٍ وجذورها مسمّرة في الصخر .

الجد ـ رغم انك غريبة فأنت تعرفين هذه الاماكن جيداً .

الحاجة ـ كنت أُلِمُّ بها أحياناً ، ولكن على عجل .

الجد ـ ان ما أريد تذكره مذ وصلتِ ، هو : أين رأيتُكِ في المرة الاخيرة؟ ومتى ؟ هل تتذكرين شيئا عني ؟

تيلفا ـ ولماذا تتمعنها متفحصا ؟ لو كنت شابا ووسيما لما كان لي ان اقول ذلك . ولكن الشيوخ كلهم سواء.

الجد ـ لا بد انك كنتِ هنا ، فأنا لم أسافر مطلقـا . متى كنت في القرية غير هذه المرة ؟

الحاجة ـ المرة الاخيرة . كانت في يوم احتفال عظيم فيه مزمار وطبل ، وكان الناس يهبطون المنحدرات وهم على متون الخيل ازواجا ازواجا ، مزدانين بالاغصـان

الحضر . وكانت الاغطية التي فرشوها لتناول طعام العصر تغطي الحقل بأكمله .

تيلفا ـ ليلة عرس الدوقة . يا آلهي . أيّة أبّهة تلك . فقد جرت براميل الشراب أنهاراً ، وجميع قرى المنطقة اجتمعت في الحقل الكبير لترقص (الدبكة) .

الحاجة ـ لقد رأيتك هنا من مسافة بعيدة . اذ كنت اجتاز الجبل حينئذ .

الجد ـ لقد حدث ذلك منذ سنين . وقبل هذا ؟

الحاجة ـ أذكر مرةً أخرى ، ذات يوم من ايام الشتاء . فقد هطلت عاصفة ثلجية كبرى الى درجة أنّ الطرق امّحت . كانت القرية تبدو كقرى الاقزام بأغطية مداخنها البيض ولحاها الثلجية التي تتدلى من حوافّ السقوف .

تيلفا ـ العاصفة الثلجية الكبرى ـ لم يسبق لها مثيل .

الجد ـ قبل هذا التاريخ ، وقبله كثيراً ..

الحاجة ـ (جاهدة لتتذكر) من قبل .. منـذ زمن طويل انني لا أكاد أذكرها ، كان ينطلق دخـــان خانق كثيف يؤذي الحلق وكانت صفارة المنجم تعوي كالكلب والرجال يتراكضون مرتعدي الفرائص .

وكانت جميع الابواب مفتوحة في الليـــل والنساء يولولن في الداخل .

تيلفا ـ (ترسم اشارة الصليب متأثرة) آه يا عذراء الذكريات الحسنة ، ابعدي عني ذلك اليوم . (يدخل الاطفال مبتهجين) .

المذكورون والاطفال

دورينا ـ لقد ذهب مارتن يخبّ في طريق الجبل .

فالين ـ إنه خير فارس على بعد مائة فرسخ من هنا .

آندريس ـ عندما اصبح كبيرا سأروض مهوراً مثله .

تيلفا ـ (وهي تنهض مستأنفة عملهـــا) الى أن تُصبح كبيرا يقرّر الله ما يريد . وما دمتَ قد تأخرت كثيرا ، فهيّا الى السرير. فالمرء أسرع نمواً وهو نائم.

آندريس ـ ان الوقت باكر والسيدة الـــتي رأت كثيرا من الاشياء ستقص علينا حكايات .

تيلفا ـ خير لك من هذا ، السرير ذو الملاءات البيض .

الحاجة ـ دعيهم ، إنّ الاطفال هم اصدقائي الاعزاء وسأمكث معهم قليلًا من الوقت .

اندريس ـ استتابعين سفرك الليلة ؟ ان كان يداخلك ثمة خوف ، فسوف ارافقك حتى مكان الزروق .

الحاجة ـ انت ؟ انك لا تزال صغيراً .

اندريس ـ وما قيمة هذا ؟ ان رجلاً صغيراً خير من امرأة كبيرة هكذا يقول جدي .

تيلفا ـ أتسمعين انهم خبثاء . مدي ، مدي لهم يــدك وسترين كيف انهم سرعــان ما يمسكون قدمك . قلت لكم الى السرير !

الجد ـ دعيهم يا تيلفا . سأبقى معهم .

تيلفا ـ ما هذا ؟ وعلاوة على ذلك تنزع مني السلطة وتعطيهم المثل السيء (تخرج غاضبة) لقد أحسن القول من قال إذا كان رئيس الدير يلعب الورق فماذا يفعل الرهبان؟

الجد ـ ان كنت تنوين الذهاب الى (شنت ياقب)[1] ، فاني استطيع ان ادلك على الطريق .

الحاجة ـ لست بحاجة لذلك . فهو موضح في السماء بالنجوم .

اندرنس ـ ولماذا تدل النجوم على هذا الطريق ؟

الحاجة ـ كيلا يضل الطريق الحجاج الميممين « شنت ياقب » .

دورينا ـ ولماذا يترتب على الحجاج ان يأموا شنت ياقب .

---

(١) مدينة في مقاطعة جاليسيا في اقصى شمال غرب اسبانيا . كان يقصدها المسيحيون في العصور الوسطى لزيارة ضريح احد حواريي السيد المسيح .

الحاجة ـ لان هناك ضريح الحواري .

فالين ـ ولماذا كان هناك ضريح الحواري ؟ .

الثلاثة ـ لمـــاذا ؟

الجد ـ لا تعيريهم انتباها . فالطفل يسأل اكثر مما يجيب العالم . (يراها تواري كفيها في كميها) لقد خمدت النار الا زلت تشعرين بالبرد ؟

الحاجة ـ اشعر به في يدي دائماً .

الجد ـ سأقطع قليلاً من الحطب وآتي ببعض الأغصان التي تعبق رائحتها عند احتراقها . (يخرج نحو الحظيرة يسرع الأطفال ويحيطون بالحاجة) .

الحاجة والاطفال

دورينا ـ ها نحن وحـــدنا الآن . . . هل لك أن تقصي علينا حـكاية ؟

الحاجة ـ الا يروي لكم جدكم حكايات ؟

الدويس ـ ان الجد يعرف أن يبدأ أي قصة ولكنه لا يعرف أن ينهيها . وعندما تنطفىء اللفافة في فمه يقول لنـا « توتا توتا انتهت الحتوتة » .

دورينا ـ اما من قبل فكان الامر غير ذلك . فأنخيليكا كانت تعرف منها المئات وكانت تؤدي بعضها بالموسيقى . كانت ترويها كما لو أنها شهدتها .

آندريس ـ حكاية ديلجادينا . وحكاية الفتاة التي تزيّت بثياب الرجال لتذهب الى حروب آراجون .

دورينا ـ وحكاية الـ (كسانا) التي كانت تغزل خيوطاً من الذهب في النبـع .

فالين ـ وحكاية الثعلب الاعمى الذي كان يذهب الى (سانتا لوثيا) ليداوي عينيه .

الحاجة ـ ومن كانت انخيليكا ؟

دورينا ـ اختنا الكبرى . كان كل رعايا القرية يحبونهـا كما لو أنها ابنتهم . ولكنها رحلت ذات ليلة مع ماء النهر .

آندريس ـ ومنذ ذلك الحين ، لايمكننا التحدث بصوت مرتفع عندما يدعوننا نلعب .

فالين ـ أتعرفين بعض الالعاب ؟

الحاجة ـ أظنُّ أني نسيتها كلهـا . ولكن اذا علمتموني فانني أستطيـع ان أتعلم .

(الاطفال يحيطون بها مبتهجين)

فالين ـ لنلعب « سيمزقون ، خشيبات القديس يوحنا إرباً إرباً . »

دورينا ـ كلا . لنلعب « انت تعطي ، انا اعطي ، انزل عن الحمار الصغير لأركب انا »

آندريس ـ حتى ولا هذه . انتظري : اديري رأسك الى هناك واحذري ان تخدعينا (تغمض عينيها وهم يتوشوشون ورؤوسهم متلاصقة) لقد تم الامر . ينبغي ان تقعدوا على الارض قبل كل شيء . (الجميع يطيعون) هكذا . والآن كل واحد سيقول جملة والآخرون يرددون . ومن يخطىء يدفع ثمن خطئه . أنبدأ ؟

الجميع ـ هيا .

(يبدؤون لعبة طفولية فيها لوازم ذات إيقاع رتيب ، محاكين بالحركات بصورة ناشزة مايرددونه بالكلمات . ومن يحين دوره يقف على قدميه والآخرون يجيبون مؤدين صوتاً واحداً ، وجالسين في حلقة) . .

آندريس ـ انها زجاجة الخمر .

التي يصونها في بيته الجار .

جوقــة ـ انها زجاجة الخمر .
التي يصونها في بيته الجار .

فالين ـ (ينهض بينما يجلس آندريس) ..
هذه هي السدادة .
لسد
زجاجة الخمر .
التي يصونها في بيته الجار .

جوقة ـ هذه هي السدادة . الـخ .

دورينا ـ (تنهض بينما يجلس فالين)
هذا هو الشريط
لربط
السدادة
التي تسد
زجاجة الخمر
التي يصونها في بيته الجار .

جوقة ـ هذا هو الشريط ... الخ

أندريس ـ هذا هو المقص
لقص

الشريط
الذي يربط
السدادة
التي تسد
زجاجة الخمر
التي يصونها في بيته الجار .

الجوقة — هذا هو المقص ... الخ .

(الحاجة التي تركتهم يتمادون شيئا فشيئا في ميعة اللعبة البريئة ، تنهض بدورها مقلدة حركات السكران بصورة مسرفة) .

الحاجة — وهذا هو اللص السكران
الذي يقص الشريط
وينزع السدادة
ويرفع الزجاجة
ويشرب الخمر
الذي يصونه في بيته الجار .

(ينفجرون ضحكا . يحيط بها الاطفال ويدفعونها صارخين)

الاطفال ـ سكرانة ! سكرانة ! سكرانة !

(الحاجة تستمر في ضحكها اكثر فأكثر. والاطفال يقلدونها ضاحكين ايضا . غير ان ضحك الحاجة يستمر في الازدياد ويصبح عصبياً قلقاً ، الى ان ينقلب قهقهة مرتعشة أخافت الاطفال . يتفرقون وهم ينظرون اليها وجلين وأخيراً استطاعت ان تتمالك نفسها مرتعبة من ذاتها) .

الحاجة ـ ولكن ، ماهذا الذي أقوم به ؟ ماهذا الذي جعل حلقي يتورم وينزل في فمي كالزجاج ؟

دورينا ـ (ماتزال خائفة) انه الضحك .

الحاجة ـ الضحك ؟ (تستوي بجهد) هـذا شيء عجيب إنه ارتعاش بهيج يجري في داخلي كالسناجيب في الشجرة المجوفة ، ولكنه سرعان مايطقطق في الخاصرة ويجعل الركب ترتجف .

(عاود الأطفال الاقتراب منها ، وهم مطمئنون) ..

أندريس ـ ألم تضحكي من قبل أبداً ؟

الحاجة ـ أبداً ، (تتلمس يديها) انه لأمر غريب لقد أشاع الدفء في يدي .. وما هذا الذي يخفق في نبضي ، وهذا الذي يقفز في داخلي ؟

دورينا ـ انه قلبك .

الحاجة ـ (فيما يشبه الخوف) لايمكن ان يكون .. سيكون ذلك مدهشاً ومخيفاً . (تترنح تعبة) ماأعذب هذا التعب ! لم أتصور أبداً ان للضحك هذه القوة .

أندريس ـ إن الكبار يتعبون سريعاً . أتريدين ان تنامي؟

الحاجة ـ بعد قليل . لاأقدر على النوم الآن . عندمـــا تدق الساعة التاسعة يجب ان أكون مستيقظة . ان أحداً ما ينتظرني في مضيق رابيون .

دورينا ـ اننا سنوقظك . (يقودونها الى مقعد قرب النار). تعالي واجلسي .

الحاجة ـ لا . لاأستطيع ان أضيع دقيقة واحـدة . (تضع اصبعها على فمهـــا) انصتوا . ألا تسمعون خبب حصان بعيد ؟

(الأطفال يصغون .. وينظر بعضهم الى بعض) ..

فالين ـ اني لاأسمع شيئاً .

دورينا ـ لابد ان قلبك يدق مرة أخرى .

الحاجة ـ ياالهي . كم أشعر بثقل جفني ! لاأستطيع .. لم أعد أطيق اكثر ..

(تجلس منهوكة).

أندريس ـ ان أنخيليكا كانت تعرف كلمات تجعلنا ننام . أتريدين ان أعلمك اياها ؟

الحاجة ـ قل . ولكن لاتنس انتوقظني فيالساعة التاسعةتماماً .

أندريس ـ اغمضي عينيك . وهيا كرريدون انتفكري . (يبدأ مكرراً ببطء).

هناك في الأعالي ، في الأعالي .

الحاجة ـ (تردد كل مرة بقوة أقل) ..

هناك في الأعالي ، في الأعالي .

أندريس ـ ينتصبُ جبلٌ أبيض .

الحاجة ـ ينتصبجبل أبيض .

دورينا ـ وفي الجبل شجرة برتقال .

الحاجة ـ وفي الجبل شجرة برتقال .

خالين ـ وفي شجرة البرتقال غصن

الحاجة ـ وفي شجرةالبرتقال غصن .

أندريس ـ وعلى الغصن أربعة أعشاش .

اثنان من فضة ، وآخران من ذهب .

الحاجة ـ (بصوت غير مسموع تقريباً) وعلى الغصن أربعة أعشاش .

أربعة أعشاش .. أربعة .. أعشاش ..

ندريس ـ لقد أغفت ..

دورينا ـ يالمسكينة ! لاشك انها منهكة القوى من فرط السير.

(الجد الذي يصل ومعه الحطب والأغصان الجافة ،
يتأمل منذ عتبة الباب نهاية المشهد ، تدخل تيلفا) ..

المذكورون ، الجد وتيلفا

تيلفا ـ ألم تنته اللعبة بعد ؟ إذن هيّا الى السرير .

دورينا ـ (تطلب منها الصمت) لانستطيع الآن يجب ان نوقظها عندما تشير الساعة الى التاسعة .

الجد ـ ساقوم أنا بذلك ، خذيهم ياتيلفا .

تيلفا ـ والصعب هو ان تجعلهم ينامون بعد هذه الجلبة ـ هيا
(تصعد الدرج معهم) ..

دورينا ـ انها جد جميلة ، جد طيبة . ولماذا لاتقولين لها ان تبقى معنا ؟

أندريس ـ لاملجأ لها تأوي اليه ... لها عينان حزينتان .

تيلفـــا ـ من الخير لها ان تعود من حيث أتت في الحال .
لست أعجب بالنساء اللاتي يحطن انفسهن بالاسرار ويسرين وحدهن ليلاً في الطرقات .

(تخرج مع الأطفال . وفي اثناء ذلك يومم الجـد النار يخفض ضوء المصباح وتظل خشبة المسرح مضاءة بوهج النار. ويتأمل النائمة بامعان محاولاً ان يتذكر).

الجد — اين رأيتها ، المرة الاخيرة ، ومتى ؟

(يتنحى جانباً ليلف السيجارة . تبدأ الساعة تدق التاسعة . الحاجة تحاول ان تستوي بقوة ، كما لو انها احست نداءً . يلمع على البعد ضوء برقٍ وهّاج تتلألأ يدا الحاجة من جديد ، ثم تستمر في النوم) . يعوي الكلب في الخارج وجلا حزيناً . ومع دقـة الساعة الاخيرة يسدل الستار .

الفصل الثاني

بعد ذلك بقليل وفي المكان نفسه . الحاجة ما زالت نائمة . تسمع تكتكة الساعة خـــلال فترة صمت . يقترب الجد منها ويحدق فيها وهو يصارع الذكرى . الحاجة لا تزال ساكنة . تظهر تيلفا في اعلى الدرج . يبتعد الجد حينئذ ويشعل اللفافـــة ، التي انطفأت بين شفتيه .

تيلفـــا ـ (وهي تهبط السلم) لقد أرهقوني ، لكنهم ناموا أخيراً . (يطلب الجد منها ان تسكت . لكن تتابع) هؤلاء الأولاد الشياطين سرعان ما تمتلىء عقولهم بالأوهام فمن قائل بانها عذراء الطرق ومن قائل بانها ملكة مقنّعة ، تلبس رداء من الذهب تحت آخر من الصوف ..

الجد ـ (وهو يفكر) من يدري فلرب طفل يتطلع أحيانا الى ابعد مما يتطلع اليه رجل . ما زلت اشعر ان شيئاً خفياً قد دخل هذا البيت معها .

تيلفـــا ـ أبعد هذه السنين ؟ هذا ما كان ينقصنا ! أنت في سن الشيخوخة ، ثم تنشغل بها ..

الجد ـ الم تلمحي شيئاً غريباً في الهواء عندما فتحت لها الباب . ؟

تيلفا ـ رأيت تألّق الندى المنعقد .

الجد ـ ألمْ تري شيئا آخر ؟

تيلفا ـ دعني من الحكايات إن روحي في جسدي وعيني قائمتان في وسط وجهي . ان الحكايات لم تسكرني في يوم من الأيام .

الجد ـ لاشك ان هذه الابتسامة الهادئة ، وهاتين العينين اللتين لالون لهما كالبلور وهذه الطريقة الغريبة في الكلام ..

تيلفا ـ إنها حركات ظاهرة لاخفاء نواياها . (ترفع فتيلة المصباح ، منيرة خشبة المسرح من جديد) . . . ولذلك لم أستَسيغها مذ دخلت .. اني أعْجَب بالناس الذين يسيرون باستقامة ، ويتكلمون بوضوح . (تحدق فيه) ولكن ، ماذا جرى لسيدي ؟ مالك ترتجف كالطفل ؟

الجد ـ لست ادري .. يساورني رعب مما افكر فيه ..

تيلفا ـ اذن ، لاتفكر . ان نصف المتاعب تنبع من الرأس. (تجلس وهي تأخذ « شغل تطريزها » مرة اخرى).

أنا عندما تداهمني فكرة تقلق راحتي أبداً في التطريز ،
وآخذ في الغناء . وهذا هو الدواء الناجع .

الجد ـ (يجلس قلقا ، بقربها) اسمعي ياتيلفا : ساعديني في التفكير . متى قالت هذه المرأة انها مرت من هنا ؟

تيلفا ـ يوم العاصفـــة الثلجية الكبرى ، عندما بلـغ الثلج النوافذ ، واندثرت جميـع الطرقات .

الجد ـ في ذلك اليوم ضاع الراعي وهو يعبر المضيق . اتذكرين ؟ وقد عثرنا عليه غداة اليوم التالي ، ميتا بين نعاجه بقميصه الخشن كقطعة من الجليد .

تيلفا ـ (دون أن تترك شغل تطريزها) ياللخسارة ! كان يبدو مثل سان كريستوبان بعصاه ولحيته التي تحـكي القنب المحلول . ولكن طيور السماء كانت تعكف وتحط على كتفيه عندما كان يعزف على المزمار .

الجد ـ والمرة الثانية . ألم تكن ليلة عرس الدوقة ؟

تيلفا ـ لقد ذكرت هي ذلك . ولكنها لم تكن في العرس ، بل رأته من بعيد .

الجد ـ رأته من الجبل ، اذ كان الحداد قد آلى على نفسه ان يصطاد للخطيبين وعلاً . وعندما انحنى ليشرب من

الجـدول ، انطلقت من بندقيته رصاصة فأردته ، وراح يتخبط بدمه في الماء .

تيلفـــا ـ هكذا كان . وقد اكتشفه الفتيان عندما رأوا ماء النبـع احمر . (تحس بالقلق فجـأة ، تتوقف عن التطريز وتنظر اليه بثبات) . الى اين تريد ان تصل من كل هذا ؟

الجد ـ (ينهض وصوته مختنق) وعندما كانت صفارة الانذار تطلب العون،والنساء ينتحبن في المنازل . اتذكرين؟ لقـــد كان اليوم الذي انفجر فيه الغاز في المنجم . ابناؤك السبعة يا تيلفا .

تيلفـــا ـ (تبدو متأثرة . تنهض ايضاً) يا الهي . ولكن ما هذا الذي تفكر فيه ؟

الجد ـ الحقيقة . واخيراً (قلقاً) .. اين تركت الأطفال ؟

تيلفـــا ـ نائمين ، كأنهم ثلاثة من الملائكة .

الجد ـ اصعدي اليهم (يدفعها نحو السلم) . اوصدي الأبواب والنوافذ أدفئيهم بجسمك ان كانوا يحتاجون ذلك . ولينادِ من ينادي ، فلا يدخل احد .

تيلفـــا ـ احبّةَ قلبي .. أبعد عنهم كلَّ سوء ، يا إلهي .

(تخرج . يتوجه الجد نحو الراقدة بثبات) ..

الجد ـ انني اعرف الان اين رأيتك.(يمسكها من يديها بعنف).
فلتفق ايها الحلم المزعج ، فلتفق

الجد والحاجة

الحاجة ـ (تفتح عينيها ببطء) إني ذاهبة . من يناديني ؟

الجد ـ انظري الي بعينيك ، وتجرأي أن تقولي لي : إنك لا تعرفينني . اتذكرين اليوم الذي انفجر فيه الغاز بالمنجم ؟ لقد كنت موجودا هناك ، وكان الركام يجثم على صدري والدخان الحاد في حلقي ؛ فحسبت ان أجلي قد حان ، واقتربت بصورة مفرطة ولكن عندما دخل الهواء النقي تمكنت من رؤية وجهك الشاحب وشعرت بيديك المثلجتين .

الحاجة ـ (برزانة) كنت أنتظر هـذا الكلام . ان الذين رأوني مرة واحدة لاينسونني أبداً .

الجد ـ وماذا تنتظرين الآن ؟ أتريدين أن أنادي باسمك في القرية ، لكي تطاردك الكلاب والحجارة ؟

الحاجة ـ انك لن تفعل ذلك لانه لايجدي .

الجد ـ لقد خامرك الظن انك تستطيعين تضليلي . آه ، أنني رجل هرم ، وقد فكرت بك طويلا .

الحاجة ـ لا يأخذنك الغرور أيها الجد . ان الكلب لا يفكر ،
وقد عرفني مع ذلك قبل ان تعرفني أنت . (يسمع
رنين جرس الساعة . تنظر اليها الحاجة مضطربة) .
الى أية ساعة تشير هذه الساعة ؟

الجد ـ الى التاسعة والنصف .

الحاجة ـ (يائسة) لماذا لم توقظوني في الوقت المحدد ؟ من الذي
شدني بخيوط عذبة ما كنت أعرفها مطلقاً ؟ (مغلوبة
على أمرها) لقد كنت أخشى هذا ، ولم أستطع تفاديه .
والآن ، قد فات الوقت .

الجد ـ تبارك الحلم الذي شد عينيك وربط يديك !

الحاجة ـ الذنب ذنب احفادك . لقد جعلوني احيا حياتهم برهة .
الى ان جعلوني احلم بأن لي قلباً حاراً . ان الطفل
وحده يستطيع ان يحقق تلك المعجزة .

الجد ـ لقد كنت تفكرين ان تجزيهم سوءاً على هذا الحب
الذي استقبلوك به . ياللسوء اذ أتصور انهم كانوا
يلعبون معك !

الحاجة ـ أوّاه . لشد ما يلعب الاطفال مع (المنيّة) [1] .
دون ان يعرفوا ذلك .

---

(١) الحاجة تمثل الموت . ولفظة الموت مؤنثة في اللغة الاسبانية .

الجد ـ عمن كنت تبحثين اذن ؟ (يقف عند السلم) إن كنت تريديهم فلا بد ان تعبري من فوقي اولا .

الحاجة ـ من يفكر بأحفادك ، الذين لا يزالون صغارا ؟ ان ما كان ينتظرني هذه الليلة هو سيل من الحياة ، فقد اسرجت له المهر بنفسي ، وأنا لقمت له البندقية .

الجـد ـ مارتن ؟

الحاجة ـ انبل فارس بالمنطقة .. قرب شجرة الكستناء الكبيرة.

الجـد ـ (بلهجة الانتصار) ان شجرة الكستناء الكبيرة ، تبعد عن هنا نصف فرسخ فقط . ولا بد انه اجتاز المسافة دون ان يتوقف .

الحاجة ـ ان ساعتي لاتنقضي نهائياً وانت تعرف ذلك . انما تؤجل فقط .

الجـد ـ اذن اسرعي . ماذا تنتظرين حتى الآن ؟

الحاجة ـ الان لا انتظر شيئا . اريد فقط ان تودعني قبل ان انصرف بكلمة طيبة ودون حقد .

الجـد ـ ليس لدي ما أقوله لك . فمهما بلغت الحياة من القسوة، فهي خير ما اعرف .

الحاجة ـ وهل تتصورني مختلفة جدا عن الحياة ؟ اتعتقد انه يمكن ان توجد احدانا دون الاخرى ؟

الجــــد ـ أخرجي من هذا البيت ، ارجوك .

الحاجة ـ اني راحلة . ولكن يجب ان تسمعني اولا . اني خير صديقة للمساكين والرجال ذوي الضمائر النقية ، فلماذا لا نتحدث باخلاص .

الجــــد ـ اني لاأثق بك . فلو كنت مخلصة لمــــا دخلت البيوت مقنعـة لتحشري نفسك في الغرف الحزينة ساعة الفجر .

الحاجة ـ ومن قال لك انني احتاج لان ادخل ؟ انني دائما هنا ، انظر اليكم من وراء المرايا تنمون يوما بعد يوم .

الجــــد ـ لاتستطيعين انكار نواياك . انك غادرة قاسية .

الحاجة ـ اني كذلك ، عندما يدفعني بعضكم ضد بعض ، أنتم ايهـا الرجال . ولكن حينما تتركوني اصل بخطاي لوحدي فأي حنان يتبدى وانا افكك العقد الاخيرة ؟ واية بسمات هادئة تتراءى في خيط السحر ؟

الجــــد ـ صــــه . ان لك صوتاً رخـيما ، وانه لمن الخطر الانصات اليه .

الحاجة ـ اني لا أفهمك . اني اسمعكم تشكون من الحياة دائمــا . فلماذا يبث فيكم فراقها رعبا قاتلا ؟

الجـــد ـ ليس بسبب مانفارقه هنا . ولكن لاننا لانعلم ماذا
يوجد في الجانب الاخر .

الحاجة ـ والشيء نفسه يحدث عندما تكون الرحلة بالعكس .
لذلك يبكي الاطفال عندما يولدون .

الجد ـ (قلقـاً من جديد) اتذكرين الاطفال مرة اخرى .
انك تفكرين بهم كثيراً .

الحاجة ـ اني احمل اسم امرأة فاذا ماتسببت لهم ذات مرةبأذى،
فليس ذلك رغبة مني في فعـله انه حب لم يجد السبيل
ليعبر عن ذاته .. وربما لن يجده ابداً .
(تجعل صوتها يوحي باقصى ثقة) اسمع ايهـــا الجد .
اتعرف نالون الشيـخ ؟

الجد ـ الاعمى الذي ينشد الاغاني في المعارض ؟

الحاجة ـ هو بالذات . عندما كان طفلا كانت له اجمـــل نظرة
عرفت في الارض . كانت عبارة عن فتنة تجذبني من
بعيد. ولم استطع ان اقاوم نفسي ذات يوم،فقبلته في عينيه.

الجد ـ انه يعزف الان على القيثـــار ، ويطلب الصدقة في
الدروب مع قائده وصحنه المعدني .

الحاجة ـ غير اني مازلت احبه ، كما كان شأني معه فيذلك الوقت.

ولا بد ان ادفع له يوماً ما نجمتين ثمن كل الضرر الذي الحقه حبي به .

الجد ــ كفى . لاتحسبي انك تغشيني بالكلام . فمها أردت أن تظهري نفسك طيبة ، فاني اعلم انك ، انت ، عشبة القمح الخبيثة ، وانت شجرة العنم المتطفلة على التفاح . اخرجي من بيتي . فلن يهدأ لي بال حتى تذهبي بعيداً .

الحاجة ـ اني لأذهل منك . وانه لأمر حسن ان يتصورني الجبناء بغيضة ، غير انك تنتمي الى شعب عرف دوماً كيف يلقاني وجهاً لوجه . لقد غناني شعراؤكم كما لو انني معشوقة وانشدني متصوفوكم كأنني فداء ، واعظم نطاسيي علمائكم (١) سماني حرية ، لقد سمعته يقول لاحد تلاميذه ، بينما كان دمه ينزف في ماء حوض الحمام : اتريد ان تعلم أين الحرية الحقيقية ؟ إن كل شرايينك يمكن ان تقودك اليها » .

الجد ــ انني لم أقرأ كتباً . ولست أعرف عنك الا مايعرفه الكلب والحصان .

---

(١) تشير الى الفيلسوف الروماني ، الاسباني المولد والنشأة ، سنيكا .

الحاجة ـ (بتأثر عميق شاك) اذن لماذا حكمت علي بالهلاك
دون ان تعرفني حقاً ؟ لماذا لاتقوم بقليل من الجهد
لتعرفني ؟ (وهي حالمة) انني اريد أيضاً ان اتزين
بالزهور مثل القرويات ، واعيش بين الاطفال السعداء ،
ويكون لي رجل جميل احبه . بيد اني عندما اذهب
لقطف الزهور تتجمد الحديقة بأكلها . وحينما يلعب
الاطفال معي يجب ان ادير رأسي عنهم خشية ان
يصبحوا باردين عندما المسهم . واما الرجال، فماذا يفيدني
ان يبحث عني اكثرهم جمالا على متون الخيل اذا كنت
أحس عندما اقبلهم ان سواعدهم الهشة تحيط بخصري
دونما عزيمة ؟ (يائسة) اتفهم الآن مرارة مصيري ؟
فقد تراكمت علي جميع الآلام دون ان استطيع البكاء..
ولدي كل احاسيس المرأة ، دون ان أتمكن من الانتفاع
بأي احساس منها . وقد حكم علي أن اقتل دائماً ،
دائماً دون ان تكون لي القدرة على ان اموت .

(تتهالك على المقعد منهوكة القوى . جبينها بين يديها . الجد
ينظر اليها متأثراً . يقترب منها ويضع يده على كتفها بوداد) .

الجد ـ ايتها المرأة المسكينة !

الحاجة ـ شكراً لك ، أيها الجد . لقد طلبت منك القليل من التبصر، وها قد ناديتني امرأة ، اعذب كلمة تنفرج عنها شفتا رجـــل. (تمسك العصا التي تركتها مسندة على المدخنة) . لم يعـد لي شيء لأقوم به في بيتك الليلة . ولكن ، هناك من ينتظرني في اماكن اخرى. وداعاً.

(تتجه نحو الباب، يسمع في الخارج صوت مارتن وهو يصرخ).

صوت ـ تيلفا .. تيلفا .

الجد ـ هذا هو مارتن . اخرجي من الباب الثاني ، لا أريـد أن يلقاك هنا .

الحاجة ـ (وهي تدع العصا ثانية) ولم لا ؟ لقـد فات موعده . افتح الباب دون وجل .

(يسمع الصوت ثانية ، والباب يقرع بالقدم) ...

صوت ـ الي حالاً ، ياتيلفا .

(تظهر الأم في أعلى السلم وبيدها شمعة كبيرة) ..

الأم ـ من يصرخ عند الباب ؟

الجد ـ انه مارتن .

(يتوجه ليفتح ، الأم تهبط السلم) ..

الأم ـ لقد عاد سريعاً . لم يمض من الوقت مايجتاز فيه نصف الطريق .

(يفتح الجد البـاب ، يدخل مارتن وهو يحمل بين ذراعيه فتاة بملابس وشعر مبللين . الأم تنتابهـا قشعريرة كما لو كانت ازاء اعجوبة وتصرخ بصوت مخنوق) .

الحاجة ، الجد ، مارتن ، الام ، اديلا

الأم ـ انخيليكا ، بنيتي ... (تعدو نحوها . يوقفها الجد) ..

الجد ـ ماذا تقولين ؟ هل طار لبك ؟

(يضعها مارتن على المقعد قرب النار . تتأملها الأم عن كثب وقد خابت آمالها) .

الأم ـ اذن ، من هي ؟

مارتن ـ لست ادري . لقد رأيتها تهوي في النهر ، وتمكنت من الوصول في اللحظة المناسبة انها فاقدة الوعي فقط .

(الحاجة تتأمل المجهولة مدهوشة . تضع الام الشمعة على الطاولة وهي تتأوه بصوت منخفض) .

الأم ـ لماذا تركتني أترقب اعجوبة ، يا الهي . ليست هي .. ليست هي .

الجد ـ ان تنفسها هادىء . فسرعان ماستعيد اليها الحرارة وعيها .

مارتن ـ يجب أن نسعى في تنشيطها . (للحاجة) ماذا يمكننا أن نعمل ، من اجل ذلك ؟

الحاجة ـ (فيما يشبه الابتسامة البريئة) لست ادري . اني لم اعتد على هذا العمل .

(تقف بدون حراك . في الغرفة ، قرب المنجل) ..

الجد ـ ان عدة دعكات بالخل ستعيد اليها وعيها . (يأخذ قارورة من فوق المدخنة) ..

الام ـ دعني أنهض بالأمر . فلربما تمكنت من القيام به الآن .

(تجثو على ركبتيها ، ازاء اديلا ، وهي تدعك نبضها وصدغيها) ..

الجد ـ وانت . هل حدث لك شيء ؟

مارتن ـ عندما كنت اعبر مضيق رابيتون ، اضاءت فوقنا ومضة برق فتدحرجت وحصاني في الوادي ولكن لم يحدث شيء ذو اهمية .

الحاجة ـ (تقترب منه مخرجة منديلها من صدرها) أتسمح لي ؟

مارتن ـ ماذا لديّ ؟

الحاجة ـ لا شيء سوى لطخة حمراء هنا ، في صدغك .

(تمسحها برقة ظاهرة)

مارتن ـ (ينظرها لحظة) شكرا لك .

الام ـ ها انها تستعيد وعيها .

(الجميع يحيطون بآديلا ، ماعدا الحاجة التي كانت ترقب المشهد لوحدها ، بابتسامتها الخالدة . آديلا تفتح عينيها ببطء . تنظر الى من يحيط بها مذهولة) . .

الجـــد ـ لاتجزعي فقد مضى الخطر .

آديلا ـ من حملني الى هنا .

مارتن ـ كنت مارا بقرب النهر ، فرأيتك تسقطين .

آديلا ـ (فيما يشبه العتاب المر) لماذا صنعت هذا ؟ لم اسقط عفوا بل كان ذلك اختيارا .

الجـــد ـ اي مثل سنك ولما يكن لديك الوقت لمعرفة الحياة ؟

آديلا ـ كان لا بد لي من ان استجمع كل قواي لـكي تواتيني الجرأة . ولـكن ، لم يجد ذلك فتيلا .

الام ـ لاتتكلمي ، تنفسي بعمق هـكذا . هـــل تشعرين بالراحة الآن ؟

آديلا ـ بل اشعر بثقل الهواء في صدري كأنه رصاص . بينما كان كل شيء ، في النهر عذبا بسيطا .

الحاجة ـ (كأنها غائبة) الجميع يرددون الـكلام ذاته . ان الامر يشبه عصابة من الماء تحيط بالروح .

مارتن ـ تجلدي . غدا سيمضي كل شيء كحلم مزعج .

آديلا - ولكن لا بد ان استأنف مسيري بمفردي ، مثلما كنت افضل حتى اليوم .. دون احد احبه ودون امل ارتقبه .

الجد - اليس لك عائلة .. وبيت ؟

آديلا - لم يكن لي ابداً شيء ما . يقال ان الغرقى يتذكرون كل حياتهم في لحظة واحدة . اما انا فلم استطع ان اتذكر شيئاً .

مارتن - الم يمر عليك يوم سعيد خلال العديد من الأيام ؟

آديلا - يوم واحد فقط . ولكن منذ زمن بعيد . كان ذات يوم من ايام العطل قضيته في بيت صديقتي ، مع شمس ريفية وقطعان ترعى في الجبل . وعند هبوط المساء جلس الجميع حول الاغطية وراحوا يتحدثون عن اشياء جميلة هادئة . وكانت الملاءات تعبق ليلا برائحة كرائحة التفاح ، والنوافذ مليئة بالنجوم . ولكن الاحد يوم قصير جدا . (تبتسم بحرارة) انه لحزن جدا الا تستطيع ان تتذكر من كل حياتك ، سوى يوم واحد من ايام العطل ، قضيته في بيت لم يكن بيتك . (تعود الى اغماض عينيها) والان لنبدأ مرة اخرى ..

الجد – لقد عادت الى اغماءتها . (ينظر الى الحاجة قلقاً) ان يديها متجمدتان ، الا أني احس دقات نبضها .

الحاجة – (بهدوء دون أن ترفع نظرها) اطمئن ايها الرجل العجوز . انها ، ببساطة نائمة .

مارتن – لا يمكن ان نتركها هكذا . يجب اضجاعها حالاً .

الأم – أين ؟

مارتن – لايوجد في البيت سوى مكان واحد .

الأم – (ثائرة ازاء الفكرة) اما في غرفةانخيليكا ، فلا .

الجد – لا بد أن يكون ذالك . لا يمكنك ان تغلقي في وجهها هذا الباب .

الأم – كلا . يمكنكم ان تطلبوا الي أن اعطيها لقمة خبزي وثيابي وكل مالدي اما مكان ابنتي فلا .

الجد – فكري بالأمر : انها قادمة من الشاطىء نفسه وشعرها مبلول بماء النهر ذاته . . ومارتن هو الذي حملها بين ذراعيه . كأن هذا تدبير من الله .

الأم – (تخفض رأسها مهزومة) تدبير من الله ! (تتوجه نحو المنضدة ببطء وتأخذ الشمعة) اصعدوها (تصعد الى الأمام لتنير الطريق . . مارتن يتبعها وآديلا بين ذراعيه) افتحي الصندوق ياتيلفا وادفئي ملاءات الكتان .

(الجد والحاجة ينظران اليها الى أن يتواريا)

الجد ـ كنت مغرقة بالتفكير .

الحاجة ـ جداً . وأكثر مما تظن .

الجد ـ يالها ليلة سوء عليك. لقد نمت في نوبة حراستك ، وفر منك في وقت واحد: رجل في الوادي وامرأة فيالنهر.

الحاجة ـ اجل لقد فر الرجل . أما هي فلم اكن انتظرها .

الجد ـ ولكنك كنت قريبة منها . فماذا سيكون قد حصل ، لو لم يصل مارتن في الوقت الملائم .

الحاجة ـ لأنقذها رجل آخر ، او انقذت نفسها بنفسها ان هذه الفتاة ليست مُعَدّة لي حتى الآن .

الجد ـ حتى الآن ؟ ماذا تعنين ؟

الحاجة ـ (مفكرة) انني لا استطيع ان افهم . ان احداً ما اراد أنيستعجل الاشياء التييجب ان تنضج في اوانها .ولكن مايوجد في كتبي لايمكن تجنبه . (تتجه لتأخذ العصا) سأعود في اليوم المحدد .

الجد ـ تريثي . اشرحي لي هذه الالفاظ .

الحاجة ـ انشرحها امر عسير . وذلك لأني لاأراها رؤيةواضحة ايضاً . لأول مرة ، ألفي نفسي ازاء سر لم أوفق الى

فهمه . أية قوة دفعت هذه الفتاة قبل أن يحين حينها ؟

الجد ـ ألم يُخطّ هذا في كتابك ؟

الحاجبة ـ أجل . كل شيء بالتمام : نهر عميق ، فتاة غريقة ، وهذا البيت . ولكن لم يذكر ان موعد حلولها الليلة فلا تزال هناك سبعة أهلة .

الجد ـ انزعيهـــا من ذاكرتك . ألا تقدرين على الغفران مرة واحدة ؟

الحاجبة ـ هذا مستحيل انني لا آمر ولكني اطيع .

الجد ـ انها لجميلة جداً ، ولكن الحياة لم تمنحها الا نذراً يسيراً . لماذا يجب ان تقضي نحبها وهي في شرخ الشباب ؟

الحاجبة ـ أتعتقدُ انني اعرف ذلك ؟ هذا ما يحدث لي وللحياة مرات عديدة . اننا لا نعرف الى اين نسير ، ولكننا نصل دائماً الى حيث يجب أن نذهب .

(تفتح البـــاب ، وتنظر اليه) ان يديك ترتجفان مرة اخرى .

الجد ـ ذلك بسببها . انها وحيدة في هذا الوجود . ولربمـا استطاعت ان تسدي كثيراً من الخير لهذا البيت اذ تشغل الفراغ الذي تركته الفتـــاة الأخرى . فلو

كان الأمر يتعلق بي لاستقبلتك بهدوء ، اني قد بلغت السبعين .

الحاجة ـ (بسخرية ناعمة) أقل كثيراً ، أيها الجد . انالسبعين التي ذكرتها هي تلك التي لم تعشها بعد .
(تهم بالخروج)

الجد ـ انتظري . ايمكنني ان القي عليك سؤالا أخيراً ؟

الحاجة ـ قل مابدا لك .

الجد ـ متى تضطرين الى العودة ؟

الحاجة ـ انظر الى القمر : انه بدر . وسأعود الى هذا البيت عندما يصبح بدراً سبع مرات أخر . وسترافقني بعد ذلك فتاة حسناء متوجة بالزهور ، عبر النهر . ولكن لاتنظر الي بحقد .
اني اقسم لك لسوف تدعوني بنفسك ، ان لم اقبل من تلقاء نفسي وسوف تبارك اسمي هذا اليوم . ألا زلت تشك في كلامي ؟

الجد ـ لست ادري .

الحاجة ـ سرعان ماستقتنع ولتثق بي . والآن بعد ان عرفتني جيداً ، ودّعني دون موجدة ودون خوف . إننا

عجوزان بما فيه الكفاية لكي نكون زميلين حميمين .

(تمد له يدها) وداعاً أيها الصديق .

الجد — وداعاً ايتها الصديقة !

(تبتعد الحاجة يتأملها الجد مذهولا ، وهي تذهب ، بينما يسري الدفء في يده التي عقدتها على صدره) ...

الفصل الثالث

(في المكان نفسه بعد بضعة اشهر من ذلك التـاريخ . ضوء المساء منظر نهاية المسرح الذي كان يوحي بالشتاء في الفصلين الاولين، يكتسب الآن خضرة فصل الصيف اليانعة. على خشبة المسرح منضدة خياطة ، وشغل تطريز ملون قد بدىء به ..

آندريس ودورينا يصنعان كرة غزل . فالين يعرقل ما يستطيع عرقلته من الخيوط . كيكو عامل الطاحونة يبدو في المسرح كمن ينتظر أوامر . تصل آديلا من المطبخ . يظهر كيكو وينظر اليهـا مدهوشاً) .

كيكو ـ قيل لي : إنك كنت تنوين مخاطبتي .

آديلا ـ ولم لا ؟ فقد تعفن المشب من الرطوبة ، والجرذان أتت على القمح ، والاسطبل لا يزال بدون تنظيف . بم تفكر ايها الرجل ؟

كيكو ـ أنا ؟ أأنا افكر ؟

آديلا ـ لماذا لا تتحرك إذن ؟

كيكو ـ لست ادري . يروق لي ان اسمعك تتكلمين .

آديلا ـ هل تحتاج الى موسيقى وانت تعمل ؟

كيكو ـ عندما تغني العربة يخف التعب عن الثيران .

آديلا ـ ان المسلة خير لها من الاغنية . هيا ، ماذا تنتظر ؟
هل اصابك الصم فجأة ؟

كيكو ـ (وهو يعبث بقبعته) لست أدري ماذا يحدث لي
عندما تخاطبني سيدتي ، فاني اسمع . وكذلك عندما
تخاطبني تيلفا . اما انت ، فلك نظرة غريبة حتى اني
لا اسمع ماتقولين عندما تكلمينني .

آديلا ـ اذن اغمض عينيك ، بادر الى الانصراف فقد بدأت
الشمس تنحدر نحو المغيب .

كيكو ـ اني ذاهب ياسيدتي ، اني ذاهب .

(يخرج ببطء وهو مايزال يلتفت من عند عتبة الباب.
فالين يدحرج علبة من التنك « الزنك » مليئة بالازرار
محدثا جلبة عالية) ..

آديلا ـ ماذا كنت تفعل ايها الشيطان ؟

فالين ـ كنت اساعدها .

آديلا ـ سأوي الآن ، سأرى . اجمعها زراً زراً . وسأرى ان
كنت تعرف ان تعدها .

(تجلس لتعمل بالمنول)[1]

دورينا ـ هل تستطيعين الكلام او التفكير بأي شيء آخر وانت تطرزين ؟

آديلا ـ أجل . ولكن لماذا ؟

دورينا ـ ان انخيليكا كانت تستطيع ذلك ايضاً . وعندما كان يحل العيد في مثل هذا اليوم من كل عام ، كانت تقص علينا تلك القصص الساحرة التي تحدث دائماً صبيحة عيد القديس يوحنا .

آندريس ـ اتعرفين انت واحدة منها ؟

آديلا ـ أعرف الكثير . انها اغان قديمة تعلـّم للصغار ،ولا تنسى ابداً . اية اغنية تريدون ؟

دورينا ـ هناك اغنية عذبة تقص حكاية كونت كان يورد حصانه ليشرب من ماء البحر .

(آديلا تترك شغلها لحظة ، ترفع رأسها ، ثم تتلو وعيناها تتطلعان الى بعيد)

آديلا ـ كان الكونت اولينوس

---

(١) المنول : النول ، وقد استعملت هذه الكلمة هنا للدلالة على تلك القضبان المتخذة من السلك الفولاذي لحياكة الصوف وهي مما تستعمله النساء .

يبكر صبيحة عيد القديس يوحنـا
ليسقي حصانه
من ماء البحر الأجاج .
وبينا كان الحصان يشرب
كان ينشد اغنية رائعة .
وكانت طيور السماء تتوقف
لتسمع ذلك الغناء ؛
والعابر الذي يسرع في الخطو
كان ينسى المسير ؛
والبحار الذي يمخر عباب اليم
كان يعرج بسفينته الى هناك .

آندريس ـ ولماذا كان يتوقف عابرو السبيل والطيور ؟

آديلا ـ لأنها كانت اغنية ساحرة كأغاني عرائس البحر .

آندريس ـ ولمن كان يغنيها ؟

آديلا ـ كان يغنيها لـ (البا نينا Alba - Nina) بنت الملكة .

فالين ـ وهل تزوجا ؟

آديلا ـ كلا . فقد أمرت الملكة التي ملأتهـــا الغيرة حقداً ، بقتلها . ولكن ، ما لبثت ان نبتت من قبر ابنتهـا

شجيرة ورد ومن قبر الكونت شجيرة زعرور بري .
وقد نمت فروع الشجيرتين حتى التحمت .

دورينا - حينئذ أمرت الملكة بقطع اغصانهما ايضاً . اليس كذلك ؟

آديلا - هذا ماحدث . ومع ذلك فانها لم تستطع ان تفصلها .
وقد خرجت من قبرها رخمة .
ومن قبره نسر قوي .
كان الاثنان يجوبان عنان السماء
كان الاثنان يطيران سويا .

آندريس - هذه الأشياء كانت تحدث في الماضي فقط . اما الآن
فلا توجد عجائب .

آديلا - ولكن هذه الاعجوبة موجودة . انها الوحيدة التي
تتكرر باستمرار لأن الحب عندما يكون صادقاً ،
لايستطيع الموت نفسه ان يقف امامه .

دورينا - ان انخيليكا كانت تعرف هذه الاشعار . ولكنها كانت
تنشدها مغنية .
اتعرفين انت موسيقى ؟

آديلا - اجل ، اني اعرف موسيقى . (تغني)
كان الكونت اولينوس يبكر .
صبيحة عيد القديس يوحنا

ليسقي حصانه .

على شواطىء البحر

الاطفال ـ (وهم يرددون اللازمة) على شواطىء البحر

آديلا ـ (وهي ترى الجد يهبط السلم ، ثم يتوقف لينصت السمع) اتريد شيئاً ايها الجد ؟

الجد ـ لاشيء . كنت انظر اليك بين الاطفال وانت تنشدين هذه الاغاني القديمة ؟ كان يبدو لي انك حالمة . (يصل الى مقربة منها ويتأملها) ماهذا الثوب الذي ترتدينه ؟

آديلا ـ ان الأم أرادت ان ألبسه ليلةهذا العيد . الا تتذكره؟

الجد ـ وكيف لي ان انساه ..؟ ان انخيليكا نسجته بنفسها ، ووشت حوافيه المخملية بالخرز . وارتدته لأول مرة ليلة عيد القديس يوحنا ، في مثل هذا اليوم ، (ينظر ما كانت تعمله) وهذا التطريز ؟

آديلا ـ لقد عثرت عليه في اسفل الصندوق بعد ان كان احدهم قد بدأ بشغله .

الجد ـ أتعلم الأم انك تعملين به ؟

آديلا ـ هي نفسها كلفتني ان انهيه . ايعجبك شغلي؟لقداصبحت الخيوط اكثراصفراراً بعد ان مضىعليها اربعسنوات. (ترفع عينيها) لماذا تنظر الي هكذا ؟

الجد ـ اني اراك كل يوم أشد تبدلا ... أكثر تشبهاً بانجيليكا .

آديلا ـ ربما كنت اشبهها في تسريحة الشعر . ان هذا يروق الأم.

الجد ـ أما أنا ، فعلى العكس ، كنت اوثر ان تكـوني انت ذاتك في كل شيء . . دون ان تحـاولي التشبه باحـد من الناس .

آديلا ـ ياليتني كنت كالتي بدأت هذا الشغل !

الجد ـ كوني كما أنت وهذا خير لك . والآن عندما ترتدين ثيابها نفسها وتسرحين شعرك بطريقتهـا نفسها فانك تشبهينها الى درجة اشعر معها بالخوف .

آديلا ـ بالخوف ، ولماذا ؟

الجد ـ لست ادري ... ولكن لو سرق لك كنز ثم عثرت على كنز آخر فانك لن تخبئيه في نفس مكان الكنز الاول.

آديلا ـ لست أفهمك ايها الجد .

الجد ـ انها اشياء تخصني .

(يخرج من باب نهاية المسرح المفتوح على مصراعيه ، وهو يستكشف الطريق) .

آديلا ـ ماذا جرى للجد هذا اليوم ؟

دورينا ـ لقد قضى طوال اليوم بعد الظهيرة وهو يراقب الطرقات .

آندريس ـ ان كان ينتظر عازف المزمار فالوقت لم يحن بعد .
والاحتفال لن يبدأ قبل حلول الليل .

فالين ـ استذهب لرؤية المجامر ؟

آديلا ـ سوف نذهب لنرقص ولنثب فوق السنة اللهب .

آندريس ـ أحقاً ؟ من قبل كان يحظر علينا الخروج . وكان مما
يثير الحفيظة ان نسمع ضوضاء العيد من هنـــا ،
والنوافذ موصدة .

آديلا ـ لقد مضى هذا كله . سوف نذهب هذه الليلة
كلنا سويا .

فالين ـ وأنا ايضاً ؟

آديلا ـ (وهي ترفعه بين ذراعيها) أنت ستكون في المقدمة
كأنك رجل صغير .
(تقبله . ثم تدعه في الارض من جديد وهي تربت
على كتفيه) . هيا بنـا نبحث عن حطب من اجل
المجمرة الكبرى . ماذا تصنعون هنا محبوسين ؟ لقد
خلق الحقل للركض واللعب .

الاطفال ـ للركض ، للركض !

فالين ـ (يتوقف في الباب) أيمكنني أن ارمي الاشجـار
بالحجارة ؟

آديلا ـ ولم لا ؟

فالين ـ منذ ايام رميت بالحجارة شجرة التين التي يملكها القسيس فوبخني الجميع .

آديلا ـ لا بد ان ثمار التين كانت غير ناضجة بعد .

فالين ـ كلا . ولكن القسيس كان تحت الشجرة .

(يخرجون ضاحكين . تضحك آديلا ايضا . تدخل تيلفا) ..

آديلا وتيلفا

تيلفا ـ شكرا لله ، اذ اصبح المرء يسمع رنين الضحك في هذا البيت .

آديلا ـ (تعود الى شغل تطريزها) انهم مخلوقات رائعة .

تيلفا ـ الآن ، نعم . فمنذ ان بدأوا يذهبون الى المدرسة . وصاروا يركضون على حريتهم اكتسبت وجوههم نضرة ونومهم هناء ولكن ليس من المستحسن الافراط في اللين .

آديلا ـ ليس هناك داع لمعاملتهم بطريقة اخرى .

تيلفا ـ على كل حال ، القبلات والمداعبات شيء حسن ، ولكن

العصا في الوقت المناسب فيها شفاء ايضـــاً . ان الخل والعسل ينتجان طعماً سيئاً ولكنه مفيد .

آديلا ـ اما هم فيتجرعون خلا فقط . بالامس تشاجر آندريس مع اترابه ورجع الى البيت محطماً من اللكمات .

تيلفا ـ مادامت المشاجرة مع اطفال في اعمارهم نفسها فدعيهم وشأنهم . بهذه الطريقـــة يصبحون اقوياء . ان الذين لا يتشاجرون في صغرهم سيضطرون الى ذلك في كبرهم ويكون الامر عليهم حينئذ وبالا . يحدث هذا كما يحدث لولد الضفدع الذي يحرك ذيله ، ويظل يحركه ويحركه حتى ينقطع من اعلاه . أتفهمين ؟

آديلا ـ مازال أمامي الكثير لا تعلمه .

تيلفا ـ ليس كثيراً . ان ماقمت به انت هنا خلال اشهر قليلة لم استطع انا تحقيقه خلال سنوات . هنا لم يكن يوجد سوى بيت مظلم ؛ وعلى حين غرة هبت نفحة هواء فتحت جميع النوافذ ، وكنت انت هذه النفحة .

آديلا ـ حتى ولو كان ذلك صحيحاً ، فمهما أعمل ان يكون ذلك كافياً لأجزيهم على المعروف الذي أدين لهم به .

(تيلفا تنتهي من ترتيب الآنيـة ، وتجلس قربها وهي تساعدها على حل كرة الخيوط) .

تيلفا ـ هل باستطاعتك ان تصنعي اكثر مما صنعت ، فمنذ ان رحلت انخيليكا تغلغلت التعاسة الى هذا البيت كما تتغلغل السكين في الخبز . كان المنظر واحداً لا يتغير : الاطفال قابعون في احدى الزوايا ، والمغزل يملوه الغبار وسيدتي بعينيها الصارمتين والسبحة في يدها . كان البيت كله يبدو كساعة معطلة . والآن عادت الساعة الى جريانها ، واصبح لدينا عصفور يغني الساعات الجديدة .

آديلا ـ لقد كانوا أكثر من ذلك بالنسبة لي . افكر بانني لم اكن املك شيئاً ، ولا حتى الامل ، وعندما أردت ان اضع حداً لحياتي ، اعطتني الســماء كل شيء دفعة واحدة : أما واخوة وجدا . حياة بأكملها بدأتها فتاة اخرى ، لكي اتابعها انا . (بصوت مختنق ، بعد ان توقفت عن التطريز) . يخيل لي احياناً ان الامر يكاد يخرج عن طور الحقيقة ، واني سوف استيقظ فجأة لاجد نفسي على شاطيء النهر خالية الوفاض مرة اخرى .

تيلفا ـ (ترسم اشارة الصليب بسرعة) ألا تريدين السكوت؟ انظري اية افكار تجول في خاطرك يوم العيد . (تحل

لها كرة الخيوط من جديد) . لماذا داخلك الحزن على غير انتظار ؟

آديلا — لم يداخلني الحزن ولكنني كنت افكر انه يوجد دائماً شيء ناقص حتى تصبح السعادة كاملة .

تيلفا — آ ، ها . (تنظر اليها وتقول بصوت منخفض) وهذا الشيء ... اليس له عينان سوداوان ومهازان في حذائه ؟

آديلا — إنه مارتن .

تيلفا — لقد كنت اتخيل ذلك .

آديلا — إن جميع افراد الاسرة الآخرين يحبونني حبا جما . لماذا تحتم ان يكون هو بالذات ، هو الذي حملني الى هذا البيت ، أن يكون الوحيـــد الذي ينظر الي على انني غريبة ؟ ما خاطبني بكلمة طيبة أبداً .

تيلفا — تلك هي طباعه . ان الرجال اطلاقا كالخبز الناضج جدا: فبقدر ما تكون قشرته صلبة ، بقدر مايكون لبه لينا .

آديلا — اذا ما كنا ذات مرة وحدنا ، فانه سرعان ما يبحث عن علة لينصرف او يظل صامتا وعيناه مطرقتان دون ان ينظر الي .

تيلفا — حتى هذا ؟ انه شيء ، سيء ، سيء ، سيء . عندما ينظر الينا الرجال طويلا يمكن الا يحدث شيء ؛ ولكنهم

عندما يتخوفون من النظر الينا فيمكن ان يحـــدث كل شيء .

آديلا ـ ماذا تعنين بهذا الكلام ؟.

تيلفا ـ ما تحرصين انت على اخفـــائه ، انظري ، آديلا ، إذا كنت تريدين ان نتفاهم فلا تأتني باللف والدوران . يجب ان تتجرعي مر الكلام دون وجل كما تلتقطين الجمر بأصابعك . ماذا تحسين ازاء مارتن ؟

آديلا ـ الرغبة في ان اكافئه بصورة ما على ماصنعه من اجلي. اتمنى لو يحتاجني ذات مرة ، ان اوقد له النار مثلا ، عندما يكون مقرورا ، ان نلتزم الصمت سوية عندما يكون حزينا كأننا أخوان .

تيلفا ـ وليس اكثر من هذا ؟

آديلا ـ وماذا آمل اكثر من هذا ؟

تيلفا ـ الم يخطر ببالك انه شاب بكل مافي هذه الكلمة من معنى بحيث لايستطيع ان يعيش وحيدا ومن في مثل سنه لايحتاج الى الاخت ولكن الى المرأة .؟

آديلا ـ تيلفا (تنهض مفزوعة) ولكن كيف يمكن تصور شيء كهذا ؟

تيلفا ـ اقول لك ، ان تصبحي امرأته أمر ليس فيه أي بأس.

آديلا ـ بل فيه ماهو اسوأ من ذلك . انها خيانة . لقد شغلت حتى الان جميع الاماكن التي كانت تحتلها انخيليكا مكانا اثر مكان ، دون ان اجرح ذكراها . ولكن ، بقي المكان الاخير ، اقدس الامكنة كلها . وهذا سيظل ملكها وليس لاحد الحق ان يندس فيه .

(بدأ النور يخبو . يصل مارتن من الحقل . يتوقف لحظة عندما يراهما معاً ثم يتوجه الى تيلفا) ...

تيلفا ومارتن

مارتن ـ هل لديك هنا اية عصابة ؟

تيلفا ـ لماذا ؟

مارتن ـ لقد زاغ معصمي عن موضعه البارحة . لا بد من تقويمه .

تيلفا ـ ان الكلام موجه اليك ، يا آديلا .

(اديلا تمزق شريطا من القماش وتقترب منه) ..

آديلا ـ لماذا لم تقل ذلك البارحة ؟

مارتن ـ لم انتبه اليه . يمكن ان يكون قد حدث وقت تفريغ العربة .

تيلفا ـ البارحة ؟ يالغرابة . لا اذكر ان العربة خرجت قط طوال اليوم .

مارتن ـ (ممتعضاً) . اذن يمكن ان يكون وقت تشذيب شجرة الجوز ، او وقت قرن الثيران الى النير . هل ينبغي علي ان اتذكر كيف حدث ذلك ؟

تيلفا ـ هذا شيء يمنيك فاليد يدك .

آديلا ـ (تلف المصابة بحذر) اتؤلمك ؟

مارتن ـ اضغطي بشدة . اضغطي اكثر . (ينظر اليها بينما كانت تنهي لف العصابة) لماذا ارتديت هذا الثوب . ؟

آديلا ـ لم تكن فكرتي . ولكن ان كان لا يعجبك . . .

مارتن ـ يجب ألا تلبسي ثياب فتاة اخرى . فباستطاعتك ان ترتدي ماتشائين غيرها اليس البيت بيتك ؟ (يأخذ في صعود السلم . يتوقف لحظة ، تصبح لهجته عذبة ، دون ان ينظر اليها) . وشكراً .

تيلفا ـ ياللسوء . ماكان ينقصك سوى ان تمض اليد التي ضمدتك . (يخرج مارتن) . ياليتني كنت احمل عصا من البندق !!

آديلا ـ (تتناول شغل تطريزها مفكرة) . انه لا يتصرف هكذا عندما ينظر الى حقول القمح ولا عندما يداعب حصانه . ولكنه معي فقط . . .

(تدخل الام قادمة من الحقل)

الآم، اديلا، تيلفا ثم بعد ذلك كيكو

آديلا ـ هممت بالخروج لأبحث عنك ، لقد طالت نزهتك .

الأم ـ وصلنا حتى كروم العنب . فالمساء جميل ـ والحقل كله يعبق برائحة الصيف .

تيلفا ـ هل مررت بالقرية ؟.

الام ـ مررت . لشد مـــاتغيرت ! ففي البستان التابـع للكنيسة . انتصبت أشجار جديدة. وغلمان القرية نموا نمواً مفرطاً وبعضهم لم يعرفني .

تيلفا ـ أتعتقدين أن القرية نامت هذه الفترة ؟

الام ـ حتى البيوت تبدو أشدّ بياضاً . وفي الدرب المؤدية الىالطاحونة نمت شجيرات برية .

تيلفا ـ وهل كنت أيضاً في الطاحونة ؟ .

الام ـ لقد كنتُ هناك . والحق، كنت أتوقع ان ألقـاها مصونة أكثر مما هي عليه . أين كيكو ؟

تيلفا ـ (تنادي بصوت مرتفع) كيكو ؟

صوت كيكو ـ ماوراءك ؟

الام ـ (الى آديلا) تعالي لأراك عن كـثب ياآديلا . هل خانتني عيناي أم أنّ الظلام قد انتشر !

آديلا ـ بل إنها الظلماء .

(تيلفا توقد المصباح) ..

الام ـ إسدلي شعرك أكثر مما هو عليه قليلا .. هكذا

(تسدله هي بنفسها مداعبة خصيلات الشعر والثوب) الىالآن . (تتأملها وعيناها الصف مفتوحتين) ..

أجل . هكذا كانت هي ... كان لها نفس النظرة ، وان كانت عيناها أكثر صفاء .

(تقبلها بين عينيها . يدخل كيكو حاملا غصناً على شكل إكليل مزيناً بشرائط ملونة) ..

كيكو ـ بماذا تأمرني سيدتي ؟

الام ـ ان الماء يتدفق من سد الطاحونة كما يتدفق من السلة . والعفن غطى السقف والرحى . هناك أحجار جيدة من أجل الرحى في مقالع الاحجار قرب بستان التفاح . (العامل يتأمل آديلا مذهولاً) . أتسمعني ؟

كيكو ـ أجل . أجل . ياسيدتي .

الام ـ أما بالنسبة لقطب الرحى فليس هناك أفضل من خشب الدردار . فاذا كان بامكانك انجاز هذا العمل صباحاً كان خيراً من اليوم الذي يليه . أتسمعني أم لا ؟

كيكو ـ أجل . أجل . ياسيدتي هذا ماسأصنعه .

الام ـ سأتوجه الآن الى إرتداء ملابس من أجل العيد . ان شالي المخملي وقرطي الفضيين لازالا كما كانا في أحسن الأوقات .

تيلفا ـ أسترقصين ياسيدتي ؟

الام ـ لم أرَ المجامر تلتهب منذ أربع سنوات . أيبدو لك عملي مُشيناً ؟

تيلفا ـ على العكس من ذلك . إن دمي مازال يغلي في عروقي ، ولو تطاوعني رِجْلاي لأريتُ شباب اليوم كيف يكون الرقص .

أديلا ـ (ترافق الأم) هـل تحسين بالتعب ؟ استندي الى ذراعي .

الام ـ (تصعد معها) شكراً ، يابنيتي ؟

تيلفا وكيكو

تيلفا ـ كروم العنب والطاحونة وحتى الرقص في الليل حول النار . آهٍ . من رآها من قبل ومن يراها الآن !
(تبدو لهجتها وهي تنظر الى كيكو الذي كان مايزال مثبتا عينيه في المكان الذي خرجت منـــه

أديلا) . رفقاً بعينيك أيها الفتى . إنهما تكادان
تفرّان من وجهك وتصعدان السلالم .

كيكو ـ هل هناك مضرّة أن ينظر المرء ؟

تيلفا ـ ليس هناك مضرة ، اذا لم يكن في ذلك اضاعة
الوقت كما تفعل أنت . هل تناولت طعام العصر ؟

كيكو ـ أجل . ولكن اذا كان هناك خمر فلا يزال في معدتي
زاوية لربع ليتر منه .
(تيلفا تُعيد له الخمر . وفي أثناء ذلك يستمر هو في
تزيين غصنه) . ألا يعجبك هذا الغصن ؟

تيلفا ـ ليس قبيحاً . ولكن لماذا كان غصنا واحداً ؟ ان
بنات المختار ثلاث .

كيكو ـ سيّان .

تيلفا ـ من الواضح ان الفتاتين الاخريين يمكنهما الانتظار .
في ليلة القديس بطوس
قدمتُ اليك الغصن
وليلة القديس يوحنا لم استطع ذلك
لأنني كنت مريضاً

كيكو ـ ليس الغصن من أجلهن . فقد انتهت قصتي معهن .

تيلفا ـ هل هناك امرأة جديدة ؟

كيكو ـ لستُ بحاجةٍ اليها . . أنْ يُهدي المرء الغصن لفتـاة ليس غزلا .

تيلفا ـ ألا تفكر ان تعلقه في نافذة آديلا ؟ [1]

كيكو ـ يتمنّى كثير من الشبان ان يفعلوا ذلك . ولكن لا يتجرأ أحد منهم .

تيلفا ـ ولماذا لا يتجرؤون ؟

كيكو ـ خوفاً من مارتن .

تيلفا ـ وما علاقة مارتن بالأمر . هـل هو زوجها أم هو خطيبها ؟

كيكو ـ أعترف أنه ليس هذا ولا ذاك . . ولكن هنـاك أشياء لا يفهمها الناس .

تيلفا ـ مثلاً ؟

كيكو ـ مثلاً ، رجل وامرأة شابان ، لا يمت أحدهما الى الآخر بصلة قرابة ما ، ويعيشان تحت سقف واحد .

تيلفا ـ هذا ما كان ينقصني ان اسمعه ! وانت ، أنت الذي تعرفها وتأكل من خبزهـا ، تواتيك الجرأة على

---

(١) في هذه الليلة يعتاد الشبان في اسبانيا ان يضعوا اغصاناً من الورد في نوافذ محبوباتهم اللاتي يطلبون حبهن .

التفكير بشيء كهذا . ؟ (تمسك بجرة الخمر بيدها)
كرر ما قلته ان كنت رجلاً .

كيكو ـ ايه ، رويدك ، رويدك ، إني لم أتهمها بشيء فقد استدرجتني حتى سحبت مني الكلام . أنا أقول مايقوله الناس في أمكنة اخرى .

تيلفا ـ وأين هذه الامكنة ؟

كيكو ـ في أمكنة أخرى ... في السوق ، في الحانة .

تيلفا ـ الحانة ! يا لها من كنيسة لاقامة القداس فيها ! ونعم السقف الذي يظل صاحبة الحانة لكي تقذف الناس بالحجارة . (تجلس بقربه وتعد له قدحاً آخر)
هيا تكلم . ماذا تقول من فوق منبرها هذه القديسة الواعظة ؟

كيكو ـ إنها تقول أشياء . تقول هذا وتقول غيره ، وتقول أشياء أخرى . وأنت تعرفين أن سلاح المرأة لسانها .

تيلفا ـ لا شك في ذلك . ولكن أهـذا كل ما عندك ؟
بالاضافة الى هذا فلابد ان تكون هناك اشياء اخرى في الموعظة . تكلم !

كيكو ـ تقول : إن آديـلا جاءت هذا البيت وهي خالية الوفاض ثم انتهت إلى ان صارت سيدته . انها راحت

تسرق كل ما كان يخص أنخيليكا . وانها بدأت باحتلال أغطيتها لانه ما كان ينبغي ان تبدأ بملاءاتها .

في الليلة الماضية كانت صاحبة الحانة تلوك هذه الاشياء وهي تقهقه مع الغنام في اللحظة التي دخل فيها مارتن.

تيلفسا ـ يا إلهي ، الم يسمعها مارتن ؟

كيكو ـ أجل . دخل فجأة ووجهه اصفر كالشمع ، ودحرج الغنام على الطاولة ثم اراد ان يجبره ان يركع على ركبتيه لكي يلفظ اسم آديلا . حينئذ تدخل الفتيان بينهما ... وتبادلوا بعض الكلمات .

تيلفسا ـ آها . لا بد انها كانت كلمات قوية ، كلمات جعلته يلف يده بعصابة . ثم ماذا .؟

كيكو ـ لا شيء أبداً . كل واحد خرج من حيث استطاع . أما هو فظل وحده هناك يشرب . وطاب ليلك .

تيلفسا ـ (تمسك الجرة والقدح في آن واحد) طاب ليلك يا كيكو . ولا تنس أن تأخذ الدرس على سبيل الاحتياط . وقل لصاحبة الحانة بالنيابة عني أن تترك الشريفات الأخريات في سلام ولتصن شرفها هي ان كانت تستطيع (ثم من عند باب نهاية المسرح على شكل صراخ) .. آه قل لها ايضاً عندما تمر عليها ،

ان تضيف قليلا من الخمر الى الماء الذي تبيعه . يا
للسراقة ! (تظل وحيدة وهي تدمدم) . انه شيء
طبيعي . من اين ينبغي ان ينطلق الحجر ؟ ان العين
السيئة ترى كل شيء سيئاً . وكيف تطيـــق امرأة
السوء هذه رؤية بيت سعيـد دون أن تندس فيه
لتبلبله . (تبدأ في صعود الدرج) . يالسان الفأس !
ايتها البومة الضامرة ! (يعود الجد) ..

الجد — مالك تدورين هنا ، وانت تدمدمين ؟

تيلفـــا — (سيئة المزاج) ايهمك هذا كثيراً ، وانت ما بالك
لا تفعل شيئاً سوى ان تدخل وتخرج وتنظر الطرقات.
هل تنتظر أحداً ؟

الجد — لست انتظر احداً . أين آديلا ؟

تيلفـــا — الآن قلت لها ان تنزل . شجعها قليلا . في المـــدة
الأخيرة بدأت تجول في رأسها بعض الخواطر السيئة
(تستمر في سيل شتائمها حتى تتوارى) . آه تلـك
المكنسة العتيقة ! تلك البومة العجوز ! ليت صاعقة
تهدك هداً . آمين يا رب العالمين !
(فترة صمت . الجد مضطرب ، يطل من جـــديد
ليتشوف الطريق . ينظر الى السماء . تهبط آديلا) .

الجد وآديلا

آديلا ـ أأنت طلبتني ، أيها الجد ؟

الجد ـ لاشيء ، كنت أريد ان اراك لكي اطمئن عليك .

آديلا ـ ماذا يمكن أن يحدث لي ؟ لم تمض سوى لحظة على رؤية أحدنا الآخر .

الجد ـ قالت لي تيلفا . انه تدور في رأسك لست أدري اية افكار حزينة .

آديلا ـ ربّاه ! هذه حماقات . انها أشياء صغيرة يضخمها عقل الانسان . لأن المرء يشعر احيانا بالرغبة في البكاء دون ان يدري لذلك سببا .

الجد ـ هل هناك مايدعوك الى التذمر والشكوى ؟

آديلا ـ أنا ؟ هذا ابعد من لمس السماء . ان لدي اكثر مما استطيع ان احلم به . ان الام ترتدي الآن ثياب العيد لانها تريد أن تصطحبني معها الى حلبة الرقص . وهذه الليلة هي اجمل ليالي السنة . (من عند عتبة نهاية المسرح) . انظر ايها الجد : إن السماء مليئة بالنجوم ، والقمر بدر متيم .

(يرتعش الجد عندما يسمع هذه الكلمات ويردد بصوت منخفض كما لو كان مهووساً .)

الجد ـ انه بدر مُتيم . (ينظر الى السماء ايضاً وهو يقربها) هذه هي المرة السابعة التي يصبح فيها القمر بدرا تماما منذ وصولك حتى الآن .

آديلا ـ هل مضى كل هذا الوقت ؟ كم تبدو الأيام قصاراً هنا!

الجد ـ (يأخذها بين ذراعيه وهـــو ينظر اليها بإمعان) حلـّفتك بأسمَى ما تحبين أن تقولي لي الحقيقة : هل أنت سعيدة فعلا ؟

آديلا ـ إني سعيدة بقدر ما يمكن للانسان ان يكون سعيدا في هذه الحياة .

الجد ـ ألم تخف عني شيئا ؟

آديلا ـ واي شيء يدعوني الى الكذب . ؟

الجد ـ لا يمكن ان يكون هذا صحيحا . لابد انك تضمرين شيئا، ربما انت نفسك لاترينه بوضوح حتى الآن، شيئاً يتشكل في داخلك كسحابات القلق التي سرعان ماتنقشع والتي يسهل تبديدها اذا كان للمرء صديق حميم يقصّها عليه في الوقت الملائم .

آديلا ــ (تبدو قلقة بدورها) اني لا أفهمك أيها الجد ..
ولكن يبدو لي اني لست ممن يخفي أشياء هنا .. ماذا
حدث لك اليوم ؟.

الجد ــ إنها تخيلات ، أتمنى على الأقل لو كان بمقدوري الاعتقاد
انني كنت ذلك اليوم في حلم . ولكنني لم أكن في
حلم . كان ذلك نفس الليلة التي وصلت فيها ، منذ
سبع هلات . وها أنتِ ما زلت هنا بلحمك ودمك .

آديلا ــ عن أي حُلُمٍ تتكلم ؟

الجد ــ لا تعيريني أدنى اهتمام ، فلستُ أعي ما أقول .
ولكن يخامرني أحساس أنّ خطرا كبيرا يحدق بنا،
ولن يلبث ان يهبط علينا فجأة ، دون ان نستطيع
الدفاع عن أنفسنا حتى ولن نعرف من أين سيأتي .
هل وجدت نفسك ذات مرة وحيدة في الجبل حين
هبوب العاصفة ؟

آديلا ــ لم أجد نفسي ابدا .

الجد ــ انها أسوأ ساعات القلق ، تحسين ان الصاعقة منتصبة
في الهواء كأنها سوط . فاذا مكثت في مكانك فسوف
ينصب عليك واذا اعملت رجليك في الركض فسوف
يدركك . وليس في مقدورك الا انتظار المجهول .

وانت تكتمين انفاسك . ثم تشعرين بخوف رهيب
يسري في جسدك، خوف بارد يهتز كأنه رأس حصان.

آديلا ـ (تنظر اليه خائفة وتنادي بصوت عالٍ) .. أماه !

الجد ـ صمتاً . لا تجزعي أيتها المخلوقة . لماذا تنادين ..؟

آديلا ـ بسببك . إن ما تقوله غريب الى درجة ان ...

الجد ـ لقد مضى كل شيء ، فاطمئني . واعيدي ماقلتيه من
انه لا يوجد اي خاطر سوء في ذهنك وانك سعيدة
سعادة تامة ، لكي اطمئن انا ايضا .

آديلا ـ اني اقسم لك على ذلك . الا تصدقني ؟ اني سعيدة
لدرجة أني لا أبادل دقيقة واحدة امضيتها في هـــذا
البيت بجميع الاعوام التي عشتها من قبل .

الجد ـ شكرا يا آديلا . والآن اريد ان أطلب منك شيئاً:
في ليلة الرقص هذه لا تبتعدي عني فان سمعت صوتاً
غريباً يناديك، شدي يدي بقوة ولا تتحركي من قربي
اتعدينني بذلك . ؟

آديلا ـ اعدك .

(الجد يضغط يديها ثم يصيخ السمع فجأة) ..

الجد ـ أتسمعين شيئاً ؟

آديلا ـ لست أسمع شيئاً .

الجد ـ ان احداً يقترب من هنا عبر طريق الحقل .

آديلا ـ ربما كانوا عشاقاً ، يطوفون الليل ليضعوا أغصان الغزل في نوافذ محبوباتهم .

الجد ـ ياليتهم !!!

(يخرج نحو الحظيرة . آديلا تنظر اليه منشغلة . ثم تتجه ببطء نحو باب نهاية المسرح . حينئذ تظهر الحاجة في العتبة . آديلا تتوقف مدهوشة) .

الحاجة ، اديلا ، ثم الاطفال

الحاجة ـ مساء الخير ايتها الفتاة.

آديلا ـ مساء الخير ياسيدتي . أتبحثين عن أحد أفراد الأسرة ؟

الحاجة ـ (وهي داخلة) ربما كان الجد في انتظاري . إننا صديقان حميمان ، وأنا على موعد معه هذه الليلة . ألا تذكرينني ؟

آديلا ـ أكاد أذكرك ... كشيء قديم جداً .

الحاجة ـ لقد رأى كل من الآخر على وهج النار لحظة واحدة فقط ، عندما حملك مارتين من عند النهر . لماذا تغمضين عينيك ؟.

آديلا ــ لا أريد تذكر تلك اللحظة السيئة . فقد بدأت حياتي في اليوم التالي .

الحاجة ــ ولكنك لم تكوني تتكلمين هكذا في تلك الليلة، على العكس ، سمعتك تقولين : ان كل شيء كان جميلا ، هيناً داخل الماء .

آديلا ــ كنت يائسة وقتئذ . لم أكن أدري ماأقول .

الحاجة ــ أفهم ذلك . ان كل ساعة لهـــا معنى معين . فاليوم لك عينان مختلفتان وها أنت ترتدين فستان العيد .
ومن الطبيعي أن في كلماتك بهجة العيد ايضا .
ولكن احذري ان تغيريها عندما تخلعين الفستان .
(تدع العصا . يصل الاطفال راكضين ، ويحيطون بها مبتهجين) ..

دورينا ــ انها السائحة ذات اليدين البيضاوين .

فالين ــ لقد ذكرناك كثيراً هل جئت لتحضري العيد ؟

اندريس ــ سوف اقفز من فوق المجامر كما يفعل الرجال الكبار الن تأتي معنا ؟

الحاجة ــ كلا . لا أريد ان أكون هناك عندما يقفز الصغار من فوق النار . (الى آديلا) . انهم خيرة اصدقائي وهم سيرافقونني .

آديلا ـ الا تحتاجين شيئاً مني ؟

الحاجة ـ الآن لا أحتاج شيئاً . استذهبين الى الرقص ؟

آديلا ـ سأذهب عند منتصف الليل ، حينما توقد المجامر .

الحاجة ـ توقد المجامر عادة قرب الماء . اليس كذلك ؟

آديلا ـ عند ضفة النهر .

الحاجة ـ (تنظر اليها بامعان) حسنا . سنلتقي مرة اخرى .. في ماء النهر العميق .

(اديلا تخفض عينيهـا متأثرة ، وتخرج من باب نهاية المسرح) ..

الحاجة والاطفال

فالين ـ لماذا تأخرت في العودة طويلا ؟

الدريس ـ كنا نعتقد انك لن تؤوبي ابداً .

دورينا ـ هل مشيت خلال هذه الفترة كثيراً ؟

الحاجة ـ كثيراً جداً . فقـد كنت في الجبال المغطاة بالثلج والصحاري الرملية ورياح البحر الموج . كنت في مائة بلد وجبت آلاف الطرق .

دورينا ـ ما اجمل ان يسافر الانسان بهذا القدر ؟

فالين ـ الا تستريحين ابداً ؟

الحاجة ـ ابداً . ولقد نمت مرة واحدة هنا .

اندريس ـ ولكن هذه الليلة ليست ليلة نوم . انها ليلة عيـــد القديس يوحنا .

دورينا ـ وهل توقد مجامر في جميع القرى ؟

الحاجة ـ في جميعها .

فالين ـ ولمـــاذا ؟

الحاجة ـ تمجيداً للشمس . فاليوم هو أطول ايام السنة ، والليلة أقصر لياليها

فالين ـ والماء أليس هو ذاته في كل أيام السنة ؟

الحاجة ـ هكذا يبدو ، الا انه ليس هو ذاته . .

أندريس ـ يقال إن تبليل النعاج عند منتصف الليل بالماء ، يحميها من الذئاب .

دورينا ـ والفتاة التي تمسك (زهرة الماء) عند الشروق تتزوج خلال العام .

فالين ـ ولماذا تحظى الماء بهذه المعجزة هذه الليلة ؟

الحاجة ـ لان الليلة عيد المعمدان . في يوم كهذا عيد السيد المسيح .

دورينا ـ رأيت ذلك مرسوماً في احدى الكتب : القديس

يوحنا يتمنطق بجلد وعلى والسيد المسيح غائص في البحر حتى ركبتيه .

اندريس ـ في النهر !

دورينا ـ سيان .

اندريس ـ لا ، ان الأمر مختلف . يقال بحر عندما يكون هناك شاطيء واحد ، ونهر عندما يوجد شاطئان .

غالين ـ ولكن هذا حصل منذ زمن بعيـــد ، وفي ماء غير مائنا هذا .

الحاجة ـ لا أهمية لذلك . في هذه الليلة يحمل كل نهر من انهار العالم قطرة من ماء نهر الأردن .. ولذلك تكون للماء هذه المعجزة .

(ينظر اليها الاطفال مذهولين . هي تداعب شعورهم ، يعود الجد وعندما يراها بينهم يطلق صيحة) ..

الجد ـ دعي الاطفال . لا اريد ان أرى يديك فوق رؤوسهم .

(تسمع على البعد موسيقى مزمار وطبل ، ينهض الأطفال مسرورين) .

اندريس ـ أتسمع ؟ انه المزمار ياجدي ..

دورينا وغالين ـ الموسيقى ! لقد جاءت الموسيقى ! (يخرجون راكضين من نهاية المسرح) ..

الحاجة والجد

الجد ـ لقد عدت أخيراً ..

الحاجة ـ أما كنت تنتظرني ؟

الجد ـ كنت آمل أن تكوني قد نسيتنا .

الحاجة ـ إني لا أحنث بعهودي ابداً ، مهما سبّب لي ذلك من ألم أحيانا .

الجد ـ اني لا أومن بآلامك . لو كنت تحسين بشيء منها ، لما كنت قد اخترت أجمل أيام السنة لتأتي فيها .

الحاجة ـ أنا لا اختار ، بل اكتفي بالاطاعة .

الجد ـ بالكذب . لماذا خدعتني ذلك اليوم ؟ قلت لي ، اذا لم تأت بنفسك فسوف أدعوك أنا من تلقاء ذاتي . فهل دعوتك أنا ؟ هل دعتك هي ؟

الحاجه ـ لايزال هناك متسع من الوقت . الليل لايزال فيأوله ويمكن أن تحدث أشياء وأشياء .

الجد ـ اني اتضرع اليك أن تنصرفي لتوّك . يكفيما انزلته من الشر في هذا البيت .

الحاجة لايمكن أن أعود وحدي .

الجد ـ خذيني أنا ان كنت تشائين . خذي قطعان ماشيتي، خذي محاصيلي، خذي كل ما املكه ولكن لاتدعي بيتي خاويا مرة اخرى ، مثلما فعلت عندما اختطفت منا انخيليكا .

الحاجة ـ (تحاول أن تتذكر انخيليكا) .. من هي انخيليكا هذه التي تتكلمون عنها جميعا ؟

الجد ـ أأنت تسألين هذا ؟ انت التي اختطفتها ؟

الحاجة ـ أنا ؟ .

الجد ـ الا تذكرين ليلة من ليالي شهر كانون في ماء النهر منذ أربعة اعوام ؟

(يريها قلادة ينزعها عن صدره) انظري الى صورتها هنا . كانت اغاني العرس لا تزال تتردد في مسمعيها ، وطعم الحب الأول بين شفتيها . ماذا صنعت بها ؟

الحاجة ـ (تتأمل القلادة) يالها من فتاة جميلة . هل هي زوجة مارتن . ؟

الجد ـ لقد لبثت زوجة له ثلاثةأيام فقط . ألا تعرفين ذلك ؟ لماذا تتظاهرين الآن انك لا تذكرينها ؟

الحاجة ـ اني لا اكذب ، ايها الجـــد . أقول لك اني لست اعرفها . اني لم أرها أبداً .

(تعيد اليه القلادة) ..

الجد ـ (ينظر اليها دون أن يجرأ على تصديقها) . ألم تريها؟.

الحاجة ـ أبـــداً .

الجد ـ إذن .. أين هي ؟ (يمسكها من ذراعيها بتأثر عميق) تكلمي ؟

الحاجة ـ هل بحثتم عنها في النهر

الجد ـ لقد بحث جميع رجال القرية عنها معنا . ولم نعثر الا على منديل كانت تضمه على كتفيها .

الحاجة ـ هل بحث عنهامارتن أيضاً ؟

الجد ـ هو ، لا . فقد انزوى في حجرته وقبضتاه ترتعدان (ينظر اليها . وقد خامره القلق فجأة) .. ولماذا تسألين عن ذلك ؟

الحاجة ـ لست ادري .. هنا يكمن شيء غامض يهمنا نحن الاثنان ان نكشف عنه .

الجد ـ ان كنت انت لا تعرفينه ، فمن يعرفه ؟

الحاجة ـ من كان اقرب الناس اليها .

الجد ـ من هـــو ؟

الحاجة ـ ربما كان مارتن نفسه .

الجد ـ لا يمكن ان يكون هذا ، ولماذا يخدعنا ؟

الحاجة ـ هذا هو السر (بسرعـــة ، وهي تخفض الصوت) الصمت أيها الجد ! إنها تهبط الدرج . دعني وحيدة .

الجد ـ ماذا تعدين ؟

الحاجه ـ (بلهجة آمرة) . هيا ، اتركني . (يخرج الجد من جهة اليسار . تبلغ الحاجة عتبة نهاية المسرح وتنادي بصوت عال) آديلا !
(ثم تلج بخفة اول باب على اليمين قبل أن يبـــدو مارتن .. يهبط مارتن وتصل آديلا) ..

مارتن وآديلا

آديلا ـ هل كنت تناديني ؟

مارتن ـ لم أنادك .

آديلا ـ يا للغرابة ! خيّل إلي أني سمعت صوتاً .

مارتن ـ كنت أنوي البحث عنك . اذ لدي شيء اقوله لك .

آديلا ـ ينبغي ان يكون هذا الشيء مهما لكي تبحث عني . ما فتئت حتى الآن ، تهرب مني باستمرار .

مارتن ـ لست من الرجال الذين يتكلمون كثيراً . والشيء الذي يجب أن اقوله لك يتلخص في كلمة واحدة هي: وداعـــاً .

آديلا ـ وداعاً ؟ وهل انت مسافر ؟

مارتن ـ سأسافر الى « قشتالة » غداً مع سواقي الدواب.

آديلا ـ يا للبعد ! هل عرف ذلك افراد الاسرة الآخرون ؟

مارتن ـ حتى الآن لم يعرفوا . كان عليّ أن أقوله لك أولا.

آديلا ـ ربما كان لديك سبب لذلك: أستمكث زمناً طويلا.!

مارتن ـ سأمكث بقدر ما أضطر الى المكوث .. ان الامر لايعود إليّ .

آديلا ـ لست أفهمك . ان المرء لا يعزم على مثل هذا السفر فجأة وبدون سابق انذار كأنه يريد أن يفرّ . ماذا ستعمل في « قشتالة » . ؟

مارتن ـ ماذا يهمك ؟ سأشتري ماشية او طعوماً لاشجـــار العنب . الشيء الوحيد الذي احتاجه هو أن اكون بعيداً . انه خير لنا نحن الاثنان .

آديلا ـ نحن الاثنان ؟ هل يعني هذا اني أنكّد عليك حياتك؟

مارتن ـ أنت ، لا ، بل القرية بأجمعها إننا نعيش تحت سقف واحد. ولست أرغب أن يسري اسمك من فم الى فم.

آديلا ـ ماذا يمكنهم ان يقولوا عنا ؟ منذ اول يوم ، لم انظر
اليك إلا كأخ . واذا كان هناك شيء مقدس لديّ
فهو ذكرى أنخيليكا . (تقترب منه) . لا يامارتن
انك لست جباناً لكي تهرب من الكلاب التي تنبحك
يجب أن تكون أكثر عمقاً وتبصراً انظر الى عينيّ
هل هناك اعمق منهما . .

مارتن ـ (بنفور) دعيني !

آديلا ـ ان لم يكن في الأمر سوى أراجيف الناس فسوف
أخرج في إثرهم ، وسوف اصرخ في وجوههم : ان
مايرددونه محض افتراء .

مارتن ـ (بثورة مفاجئة) ماذا يجديك ان تقولي ذلك ؟ اذا
كنت انا لا استطيع ان اقوله ؟ اذا كنت اهرب منك
عندما نكون لوحدنا ، واذا كنت لا أجرؤ على مخاطبتك
او النظر الى جهتك ، ذلك لاني كنت أود ان احمي
نفسي ضد المستحيل . ضد ماعلموا به هم قبل ان اعلم به
انا . ماذا يجديني ان اعض ذراعي وان اتقلب بين الملاءات
قائلا : لا . لا . بينما احشائي الثائرة تصيح : اجل !
اجل ! اجل !

آديلا – مارتن !

مارتن – (متمالكا اعصابه بقوة) ما كنت اريد ان اقول ذلك لك ، ولكنه كان أقوى مني . غفرانك !

(آديلا تتأخر في الاستجابة ، ثم كأنها مستيقظة)..

آديلا – غفرانك ! ! نداء غريب يرن في اذني الان . ربما كان يجب علي انا ان اطلب الصفح والغفران . ولكن لست ادري ممن ولا عن ماذا . ماهذا الذي يسري في كياني ؟ ربما كان علي ان ابكي . . ان دمي كله يغلي في عروقي العليا . كنت اخشى ان يأتي يوم تستطيع فيه ان تطالعني بهذه الكلمات ، ولقد سمعتها منك الان ، ولست أريد ان اسمع كلمة اخرى على الاطلاق . .

مارتن – (يأخذها بين ذراعيه) آديلا . .

آديلا – (مستسلمة) ولا كلمة !!

(مارتن يقبلها وسط صمت رهيب . فترة صمت)..

مارتن – ماذا سيحدث لنا الآن ؟

آديلا – ماذا يهمنا ؟ لقد قلت لي انك تحبني ، وبالرغم من ان هذا مستحيل فان مجرد سماعي لك تقوله مرة واحدة يعادل عندي الدنيا بأكملها . والان ان كان يتعين على احدنا

الرحيل من هذا البيت ، فسوف اكون انا .

مارتن ـ هذا لن يحدث .

آديلا ـ انه شيء ضروري . اتعتقدان الأم يمكن أن تقبل مثل هذا الأمر ؟ ربما كان حبنا بالنسبة لها ، اعظم خيانة لذكرى انجيليكا .

مارتن ـ وهل تعتقدين أنت أن ذكرى انجيليكا يجب أن تباعد بيننا ؟ ان الأموات لا يأمرون .

آديلا ـ أما هي ، بلى . ان ارادتها ما زالت تعيش هنا . وأنا سأكون اول من يطيعها

مارتن ـ (منتفضاً) أنصتي الي يا آديلا : اني لم أعد أطيق أن احتمل أكثر مما احتملت . يجب أن اتقاسم مع واحد من الناس معرفة هذه الحقيقة التي تتعفن في داخلي . ان انجيليكا ليست تلك الصورة الجميلة التي تتخيلونها . وان كل هذا البريق الذي يحيطها مع انعكاسات الماء ليس الا ذكرى زائفة ؟

آديلا ـ ليس صحيحاً . بربك اسكت. كيف يمكنك الكلام هكذا عن امرأة كنت تحبها ؟

مارتن ـ حباً مفرطاً . يا ليتني لم احبها مثلما احببتها . ولكن لن

تنخدعي أنت بهـــا . يجب أن تعلمي ان حياتها كانت اكذوبة مثلما كان موتها ايضاً .

آديلا ـ ماذا تعني بهذا الكلام ؟

مارتن ـ الم تفهميه بعد ؟ . ان انجليكا ماتزال حية ترزق . ولهذا فانها لن تفرق بيننا

آديلا ـ هذا مستحيل . (تتهاوى على مقعد وهي تردد العبـارة دون وعي) هذا مستحيل .

(تصغي الى سرد مارتن وجهها بين يديها) .

مارتن ـ عندما كنا خطيبين، كل الناس يتذكرون ما كان بيننا: حنان صادق ، نظرات صافية ، ابتسامة سعيدة تنفذ من بعيد كرائحة العشب الحصيد. حتى جاء يوم السفر الذي قامت به لتجهيز لوازم العرس . كان يكفيها بضعة أيام ولكنها مكثت عدة اسابيع . وعندما عادت لم تكن هي ذاتها . عادت وفي عينيها نوع من الخسة وكان يجري في صوتها مايشبه رمل الماء . وعندما أدت القسم في الكنيسة كادت تختنق ، وكانت يداها ترتعشان وقت وضع خاتم الزواج ، بينما كانت ترضيها كبريائي كرجل ، حتى أني لم ارفع طرفي الى ذلك الرجل المجهول الذي كان يشهد الاحتفـال من بعيد ، وهو ينزع الوحل بعصاه عن

حذائه . وبعد ثلاثة أيام أصبيت بالحمى . وعندما كانت تحسبني نائماً كنت أسمعها تنتحب بصمت وهي تمض المخدة. وفي الليلة الرابعة حينما رأيتها تخرج ناحية النهر ، لحقت بها ، ولكن الوقت كان قد فاتني . ولقد حلت القارب بنفسها وعبرت به الى الضفة المقابلة حيث كان ينتظرها ذلك الرجل ومعه حصانان .

آديلا — (بغضب مشوب بالغيرة) وتركتها تمشي هكذا ، أنت ياخير فرسان المنطقة ثم رحت تنتحب بين فروع الخيزران ؟

مارتن — لقد أمضيت الليل بدون جدوى ، يخب بي حصاني ، متنكباً بندقيتي والمهازان يقطران دما ، حتى أدركتني الشمس وضربتني بين عيني كالحجر .

آديلا — ولماذا آثرت الصمت عندما عدت ؟

مارتن — هل كان بامكاني أن افعل شيئا آخر ؟ للوهلة الاولى لم افكر بالسكوت على الامر ، ولكن عندما عثر على منديلها عند النهر وراحت الشائعات تنتقل من فم الى فم انها غرقت ، أدركت ان لا بد من الصمت ، وقد كان ذلك افضل .

آديلا ـ أفعلت ذلك شفقة على أمها واخوتها ؟

مارتن ـ كلا .

آديلا ـ أمن اجل نفسك اذن ، لكي تصون شرف رجولتك؟

مارتن ـ كلا . آديلا ، لاتنظري الي على أنني صغير الى هذا الحد . لقد فعلت ذلك شفقة عليها . الحب لايموت دفعة واحدة ... ولو اعترفت بالحقيقة لكنت كمن يجردها من ثيابها امام انظار اهل القرية جميعا . أتفهمين الان لماذا انا راحل ؟ لأني أحبك ولا استطيع ان اعبر لك عن ذلك باخلاص .

كنت تستطيعين ان تعملي من اجلي مالم تعمله هي .

لم اعد أطيق هذا البيت الذي يباركه الناس جميعا ، أما أنا فيجب علي أن المنه مرتين : مرة بسبب الحب الذي لم يعطنيه في ذلك الحين ، ومرة بسبب مايحرمني منه الان من بعيد . وداعا ياآديلا !!

(يخرج متمالكا نفسه . آديلا وحيدة ، تنفجر بالبكاء . الحاجة تبدو في العتبة وتتأملها صامتة بعينيها المتلألئتين . على البعد ، يسمع نغم الزمار البهيج . يدخل الاطفال ويجرون صوب آديلا ..) ..

فالين ـ سيوقدون المجمرة الاولى.

دورينا ـ وقد زينوا القارب بالقصب ، ليعبروا النهر .

آندريس ـ والفتيات يهبطن وهن يغنين متوجات بأعشاب النفل .

دورينا ـ سيبدأ الرقص ، ألن تحملينا الى هناك ؟

(آديلا تصعد السلم مسرعة ، وهي تخفي بكاءها . ينظر اليهـا الاطفال مدهوشين ثم يعودون الى الحاجة)...

الحاجة والاطفال

دورينا ـ لماذا تبكي آديلا ؟

الحاجة ـ لأنها في العشرين من عمرها ، وهذه الليـلة ليـلة في غاية الجمال .

آندريس ـ على العكس منها ، تبدين انت في منتهى السرور ، لشد ماتتألق عيناك !

الحاجة ـ إذ لم أتوصل الى فهم الرسالة التي من اجلها جئت هذا البيت ... والآن،أرى كل شيء واضحاً بصورةمفاجئة.

فالين ـ ماهذا الشيء الذي ترينه واضحاً .؟

الحاجة ـ قصة حقيقية تبدو أسطورة . سوف تروونها لاحفادكم عندما تصبحون شيوخاً مثلي . اتريدون سماعها؟.

الاطفال ـ اروبها لنـا ، أروبها لنـا !!. (يجلسون في الارض ازاءها) ...

الحاجة ـ كانت توجـد قرية صغيرة . كانت قرية هادئة كقطيع الغنم الراقد على ضفة النهر ..

فالين ـ مثل قريتنا هذه ؟

الحاجة ـ أجل ، مثلها . وكان يوجد في النهر تيـــار عميق من الاوراق الجافة حيث كان يحظر على الاطفال الاقتراب. لقد كان ذلك شبح القرية المرعب . يقال أيضاً : انه كانت توجد قرية اخرى مغمورة في القاع ، بكنيستها الخضراء المغطاة بالجذور وكانت تسمع أجراسها العجيبة تدق احياناً ليلة عيد القديس يوحنا ؟.

آندريس ـ مثل تيار نهرنا ؟.

الحاجة ـ مثله . وكانت تعيش في تلك القرية فتـاة ذات روح لطيفة بحيث كانت تبدو انها تنتسب لعالم غير هذا العالم .

وكانت كل فتيات القرية يقلدن تسريحة شعرها وثيابها،
والشيوخ يطلون برؤوسهم عندما تمر، والنساء يستدعينها
لتمر يدها على المرضى من الاطفال ..

دورينا ـ مثل الخيليكا ؟

الحاجة ـ مثلها . وقد توارت الفتاة ذات ليلة في ماء التيـــار ،
ذهبت لتعيش في البيوت العميقة حيث تنقر الاسماك
النوافذ كأنها عصافير مقرورة . وعبثاً استدعاها أهل
القرية من أعلى . كانت تبدو كأنها راقدة في حلم من
الضباب وهي تجول بشعرها الطافي ويديها الخفيفتين على
حدائق من الطحلب . وهكذا مضت الايام والاعوام،
ثم أخذ الجميع ينساها ماعدا امها، ذات العينين الصارمتين
فقد كانت لاتزال تنتظرها . واخيراً تحققت المعجزة .
فقد عثر ذات ليلة فيها مجامر وأغاني على جميـــلة النهر
الراقدة ، وكانت أجمل من أي وقت مضى . كانت
الامواه والاسماك تجلانها ، فقد جاءت وشعرها نظيف
نقي ويداها كانتا لاتزالان دافئتين وعلى شفتيها ابتسامة
هادئة ، كما لو ان سنوات القاع لم تكن الا لحظة واحدة .
(يسكت الاطفال لحظة متأثرين) ...

دورينا - يالها من قصة عجيبة .متى حدث هذا ؟

الحاجة - ان هذا لم يحدث بعد ولكنه على وشك الحدوث . .
ألا تتذكرون ؟. هذه الليلة كل نهر من انهار العـــالم
يحمل قطرة من نهر الاردن .

« ستـــار »

الفصل الرابع

(في المكان نفسه ... بضع ساعات بعد ذلك الوقت .
الغطاء المفروش على المنضدة يدل على ان الاسرة قد
انتهت من العشاء . قبل أن يرفع الستار يسمع من نهاية
المسرح موسيقى مزمار وطبـــل متصاعدة تنتهي
بصراخ حاد ..) ..
تقترب ضوضاء الشبان التي تختلط فيهـا الاصوات
والضحك المسرح خال .

اصوات - (بصورة مبهمة من الخارج) الى بيت نارثيس ! هو
البيت الوحيد الذي لم نزره . وسنعثر فيه على ضالتنا ،
فكل شيء يفيض عنه : حطب من اجل نار السيد ،
وفتيات من اجل الرقص . (بضعة فتيات محتفلات ،
وبضع فتيان آخرين يقتحمون باب نهاية المسرح ، الذي
يظل مفتوحا على مصراعيه) ..

فتى١ ـ آه ، أيها البيت ، هل نام ساكنوك ؟

فتيات ـ آديلا !!.. آديلا !

(يصل كيكو من الحظيرة)..

كيكو ـ خففوا من صراخكم فان سقفنا يظللنا ولسنا في العراء. ماذا تبغون ؟

فتى٢ ـ أين هي آديلا ؟.

محتفلة١ ـ لن تظل حبيسة البيت هذه الليلة كقطعة من الذهب .

فتى١ ـ اخرجها ايها الرجل ، انا لن نخطفها منكم .

كيكو ـ وهل أنا الذي آمر في البيت ؟ اذا كانت آديلا ترغب في الذهاب الى الرقص فلن تعدم ان تجد من يرافقها .

محتفلة٢ ـ اسيرافقها مارتن ؟.

محتفلة٣ ـ اعتقد ان لا .. فقد رأيته يمشي من تلك الجهة هارباً وهو ينظر الى النار من بعيد كالذئاب في الشتاء .

فتى١ ـ ولماذا لا ترافقها انت ؟

محتفلة١ ـ واخجلتكم ! فتاة كشمس ايار (مايو)، وشابان يعيشان في البيت معها ، ومع ذلك فنافذتها هي الوحيدة التي لم تزين بغصن غزل .

كيكو ـ اني لا أطلب نصيحة احد . فان كان ماتبحثون عنه هو الكلام فتستطيعون الرجوع على اعقابكم . .

فتى٢ ـ اننا نريد حطبا لان المجمرة تحتاج المزيد منه .

محتفلة١ ـ بجمرة هذا العام لا بد ان تبقى ذكرى خالدة في أذهان الناس . سوف تكون ألسنة لهيبها اطول من قامات الاشجار بحيث تسخن مياه النهر من حرارتها ، ويظن سكان الجبال ان الشمس مشرقة .

كيكو ـ لكي تكون كذلك ، كان يجب ان توقدوا اشجار الجبل كلها . .

فتى١ ـ لا نحتاج لذلك .. فقد اعطتنا « الدوقة » حمولة عربتين من اغصان الكرمة الجافة

محتفلة٢ ـ والمختار اعطانا كل الاغصان الناتجة عن تشذيب الكستناء

فتى٢ ـ وعمال المنجم اقتلعوا شجرة السنديان من جذورها .

محتفلة١ ـ وهم الان ينقلونها على اكتافهم عبر المنحدر وسط جو من الهرج والمرج . كالصيادين عندما يحملون الدب الصريع .

محتفلة٣ ـ ان بيت نارثيس لم يتخلف ابدا عن المساعدة . ماذا اعددتم للعيد ؟ .

كيكو ـ هذا ماستقوله لكم سيدتي ..

اصوات ـ (تنادي على شكل صراخ) .. تيلفا . تيلفوفا .

(تظهر تيلفا في السلم متزينة ومرتدية ثياب العيد ،وهي تلبس المعطف) .

المذكورون وتيلفا

تيلفا ـ ماهذا الصراخ ؟

محتفلة ١ ـ هل هناك شيء من اجل العيد ؟

تيلفا ـ انزلي الى تحت ايتها الفتاة . إن اذنيّ مقرورتان جدا ، واذا خاطبتموني بصوت مرتفع فلن اسمعكم .

كيكو ـ انهن المحتفلات يطفن بالبيوت بيتاً فبيتاً باحثات عن الحطب .

تيلفا ـ لا بأس . ولكن الحق لا يطالب بالصراخ .

فتى ١ ـ ما الذي يمكننا أخذه ؟

تيلفا ـ في الحظيرة توجد حمولة عربة من اغصان « السَّمُر »[1]

(١) السَّمُر : على وزن رجل من الاشجار العظيمة ذات الشوك ، وهو جيد الخشب تسقف به البيوت (اقرب الموارد للشرتوني)

وزوج من الثيران لجرها اصطحبهم الى هناك يا كيكو.
(يخرج الفتيان مع كيكو الى الحظيرة) ..

محتفلة ٢ ـ ان شجر السمر يولد افضل نار : ينتج لهبـــا احمر ، ويفرقع عند توهجه مثل الصنوج .

محتفلة ٣ ـ أفضل منه نبات الاربقي بأوراقه الصغيرة البنفسجية التي تشبه الاجراس . انه يتوهج توهجاً بطيئاً . ويعبق رائحة تشبه رائحة القيلولة في فصل الصيف .

محتفلة ٢ ـ بينما نبـات الرتم يطلق شرراً ، ويتقلب في المجمرة كما تتقلب ساحرة خضراء .

تيلفا ـ انكن ثرثارات جداً .. ومتأنقات . وقانا الله شر ذلك!

محتفلة ١ ـ وأنت لم تقصري في الاعتناء بنفسك. انظرن! ما أجمل العجوز !

تيلفا ـ لا نار بدون دخان دعوني أراكم جيداً ! عاش البذخ وعاش اهله ! هل أبقيتن شيئا في الخزانة أم انكن قد ارتديتن كل خرقة لديكن ؟.

محتفلة ١ ـ ليس هذا اليوم كسائر الأيام . فليس من المعقول أن نلبس فيه قمصانا من القطن الخشن ولا دراعات صفر .

تيلفا ـ اني أرى ، اني ارى احذية من الجلود المراكشية، بلوزات

مطرزة ، واغطية رأس موشاة بالخرز . تقضين العـام كله في صنعها لكي تتبرجن بها ليلة واحدة .

محتفلة ٣ ـ مما يؤسف له انها اقصر ليالي السنة .

محتفلة ٤ ـ لقد احسنت الاغنية التعبير عن ذلك :

لقد جاء القديس يوحنا الأخضر .

قد جاء وها هو يعود .

محتفلة ١ ـ ولكن كل ساعة بين مجيئه وذهابه يمكن ان تحمل في طياتها معجزة .

تيلفا ـ ولكن بعض تلك المعجزات هو من عمل الشيطان، ويجب ان يبكي المرء منها بعدئذ .

محتفلة ٣ ـ من يفكر بالبـــكاء خلال يوم كهذا ؟ ألم تمري أنت بفترة شباب ؟

تيلفا ـ إنما أقول ذلك لأني مررت بها. ان النار توقظ الحواس، وموسيقى المزمار تقفز في داخـــل المرء كالخمرة القوية المفعول ... ومن ثم كان من الخطر الهيمان في حقول الذرة المضاءة بنور القمر .

محتفلة ١ ـ ان مايطلبه القديس هو البهجة . ومن لا يغني هذه الليلة لا ينظر اليه بعينيه .

محتفلة ٢ ـ لقد قدمت الملح للبقرات عند الفجر . يقال انها تلد

أغاني إذا قدم لها مع نسيم الصباح .

محتفلة ٣ ـ وانا بسطت قميصي للندى كي يحمل لي معه الحب ويبعد عني السوء .

محتفلة ١ ـ وانا لسوف ارمي بكل مالدي من الدبابيس في المساء وقت انبلاج الفجر . وفي مقابل كل دبوس يطفوا سوف احيا عاماً سعيداً .

تيلفا ـ ان هذا العدد من المعجزات هو اكثر من أن يحدث في ليلة واحدة . فقد عمد في القرية أربعة أطفال إبان شهر آذار من هذا العام .

محتفلة ١ ـ وما علاقة هذا بذلك ؟

تيلفا ـ ان عيد القديس يوحنا يحل في شهر حزيران فهل تعرفين أن تعدي ايتها الفتاة ؟

محتفلة ٢ ـ انظرن الى النتيجة التي خرجت بها العجوز الماكرة .

محتفلة ١ ـ قد لا يكون ضميرها راضيا عنها تمام الرضى عندما تظن هذا الظن بالنساء الأخر . كل واحدة تضع لسانها حيث يؤلمها ضرسها .

تيلفا ـ لا اقول شيئا عن الاضراس لانه لم يبق لدي منها سوى ضرس واحد . اما بالنسبة للضمير ، فستعرفين نقاءه اذا علمت انني لا أجلس على كرسي الاعتراف الا مرة

واحدة في السنة ، وبقراءة صلاة الشكر ثلاث مرات
أخرج خالصة نقية . اما انت فلا تبلغين ذلك ولو رددت
« قانون الايمان » اربعين مرة . (الى المحتفلة الاخرى)
وانت ايتها الذبابة الميتة ، بأي شيء اعترفت حتى صعدت
حافية القدمين حتى تمثال العذراء ؟

محتفلة — لم يكن ذلك ندما وتوبة ، بل كان نذرا . فقد كنت
مريضة بسبب هواء ملوث .

تيلفا — يالهي ،وهل يسمى ذلك الان هواء ملوث ؟

محتفلة ١ — لا تعيروها اهتماما . الا ترون ان ماتبتغيه هو أن تهبوها
اسماعكم ؟ لقد احسن المثل اذ قال ان العجائز مثل الفرن
يثرن من أفواههن .

(ضحك . يعود الفتيان . ماعدا كيكو ..)..

فتى١ — هاهي العربة خارجة . الا تريدون الصعود ؟

محتفلة٢ — كلنا معاً ؟

تيلفا — هيا ، انك لن تجزعي ولن يجزع القديس .. لقد تعود
المسكين على هذه الشؤون وليس الذنب ذنبه ان حل
عيده في اول الصيف (تفزعهن كأنهن دجاجات) .
هيا لايقاد المجامر ولقطف النفل .

فتى — سنذهب جميعا ، وانت معنا أيتها العجوز ؟

(يحيطون بها رغما عنها وهم يغنون وايديهم متشابكة .
ويدفعونها على ايقاع :
لقطف النفل
النفل النفل
لقطف النفل
ليلة عيد القديس يوحنا
(يبدأون بالخروج عبر باب نهاية المسرح) ..
لقطف النفل
النفل ، النفل
لقطف النفل
يذهب الأحباب
(يصل مارتن من الحقل . من عند الباب يتأمل مجموعة الفتيان التي تبتعد وسط الصراخ والضحك مع تيلفا في السلم تبدو آديلا وهي تنادي ..) .

آديلا ومارتن

آديلا ـ تيلفا .. تيلفا .

مارتن ـ حملتها الفتيات المحتفلات ، لقد أصعدنها الى العربة بالقوة (يدخل) هل تريدين شيئا ؟

آديلا – (وهي نازلة) كنت اريد ان اوجه اليها سؤالا فقط . ولكن ، ربما استطعت ان تجيب انت خيرا منها . عندما فتحت نافذتي وجدتها مليئة بالازهار البيض .

مارتن – بازهار الزعرور والكرز ومن ير هذا الغصن سيعرف من وضعه هناك . وسيعرف ماذا يعنيه ذلك اللون الأبيض .

آديلا – إني اشكرك يا مارتن . . يسرني أنك تذكرتني . ولكن لم تكن هناك ضرورة لهذا العمل .

مارتن – الم تحسي أن نافذتك ربما ظلت الوحيدة دون أزهار؟

آديلا – انك بكلماتك التي قلتها لي من قبل ، اعطيتني اكثر مما كنت استطيع توقعه . إن زهرة الكرز ستذهب غدا مع الريح . أما الكلمات فلا .

مارتن – لن تبارح هذه الكلمات ذاكرتي لحظة واحدة . ان لها من القوة بحيث لو اغمضت عينيك لسمعتها تتردد في اذنيك من بعيد .

آديلا – متى سترحل ؟

مارتن – غدا وقت الشروق .

آديلا ـ (بصوت عميق) لننس أن هذه الليلة هي الليلة الاخيرة. ربما لن تضطر غدا الى الذهاب .

مارتن ـ لماذا ؟ هل بمقدور أحدٍ ان يبدّدَ هذا الظل الاسود الذي ينتصب بيننا ؟ أم تريدينني أن اموت قرب الينبوع ظمآن ؟

آديلا ـ طلبت منك فقط أن تنسى كل هذا ، هذه الليلة ؟

مارتن ـ سننساه كلانا، ونحن نرقص امـــام أعين أهل القرية جميعاً . أريد أن يراك الجميع بين ذراعي ، حتى ولو كان ذلك لمرة واحدة . أريد ان يروا عيني مشدودتين الى عينيك ، كغصن أزهاري المشدود الى نافذتك .

آديلا ـ اني اعرف ذلـك . وهذا يكفيني ... أنصت ... ان احداً ما ينزل السلم .

مارتن ـ (بصوت خفيض ، يمسك يديهـا) أأنتظرك في حلبة الرقص ؟.

آديلا ـ سأذهب الى هناك .

مارتن ـ الى اللقاء ياآديلا .

آديلا ـ الى اللقاء دائماً يامارتن.

(يخرج مارتن من نهاية المسرح . تظهر الأم في السلم
وهي ترتدي ثياب العيد بأناقة الفلاحين الأغنياء القاسية .
رأسها مكشوف تحمل شمع نذور ومنديلا كبيراً على
ذراعها) ..

الام وآديلا

الأم — أين غطاء رأسي ؟ لم أجده في الخزانة .

آديلا — انه عندي . (تبحث عنه في منضدة الخياطـــة)
أستضعينه لكي تذهبي الى الرقص ؟

الأم — قبل أن أذهب عليّ ان أمر بالكنيسة . فقد نـذرت
هذه الشمعة للقديس . وعليّ ان أتوجه الى الله بشكري
على كثير من الاشياء .
(تجلس . آديلا تعقد لهـــا الغطاء على رأسها ، بينما
يتحادثان) .

آديلا — هل سألتِ الله شيئاً ؟

الأم — سألته أشياء كثيرة، قد لاتتحقق ابداً. ولكن أفضل
شيء أعطانيه ، دون ان اطلبه كان يوم ساقك الى هنا .

واذكر اني لم أعرف ان أشكره حينئذ . واني كنت على وشك ان اغلق هذا الباب في وجهك .

آديلا ـ لاتذكري ذلك أيتها الأم .

الأم ـ والآن مضى كل شيء ، أريد ان أقول لك ذلك كي تسامحيني ، عن تلك الايام التي كنت انظر خلالها اليك بحقد كأنك دخيلة . انك تفهمين ماأقول أليس كذلك ؟ عندما جلست إزاءي للمرة الاولى ، على المائدة ، ربما كنت تعرفين انه مكانها . الذي لم يشغله أحد بعدها . انا ما كنت اعيش إلا لأتذكر ، وكل كلمة منك كانت صمتاً منها تنتزعينه مني . وكل قبلة كان يطبعها الأطفال على وجنتيك كانت تبدو لي قبلة تسرقينها منها .

آديلا ـ اني لم انتبه الى هذا ، الا بعد مضي زمن . لهذا اردت أن ارحل .

الأم ـ وقتئذ ، ما كنت استطيع ان ادعك . لقد تعلمت الدرس الكبير : ان النهر نفسه الذي ذهب بابنتي حمل الى اخرى كيلا يكون حبي جنونياً مطبقاً .

(فترة صمت تنظر اليها بود وهي تداعب يديها .

تنهض) . اتعرفين هذا المنديل ؟ انه المنديل الذي كانت تضعه انخيليكا على كتفيها الليلة الأخيرة . لقد اهداها اياه مارتن . (تضعه بين كتفي آديلا) لقد وجد مكانا ثانياً ايضاً .

آديلا ـ (مضطربة ، بدون صوت) شكراً .

الأم ـ والآن ، اجيبيني بصراحة ،صراحة امرأة الى امرأة: ماذا يعني مارتن بالنسبة لك ؟

آديلا ـ (تنظر اليها بوجل) لا شيء . اني اقسم لك .

الأم ـ اذن لماذا ترتعشين ؟ لماذا لا تنظرين إلي وجهاً لوجه ، كما كنت تفعلين من قبل .

آديلا ـ أقسم لـــك يا أماه . ليس باستطاعتنا ، لا انا ولا مارتن ، ان نخون هذه الذكرى .

الأم ـ أأخونها انا عندما ادعوك ابنتي ؟ (تضع يديها على كتفي آديلا ، مهدئة من روعها) . اسمعي يا آديلا: لقد فكرت مرات عديدة ان هذه اللحظة يمكن ان تصل وانا لا اريد أن تتألمي على غير طائل بسببي . اتعلمين أن مارتن يحبك ؟

آديلا ـ لا أعلم .

الأم ـ اما انا فأعلم . علمت منذ مدة ، عندما لمحت ذلك للمرة الاولى في عينيه . احسست ان قشعريرة تهز كياني ، وتشنجت يداي . كان ذلك كما لو ان انخيليكا قد انتفضت من الغيرة في دمي . وقد تأخرت في ترويض نفسي على قبول الفكرة .. والآن مرت الأزمة .

آديلا ـ (قلقة) بالنسبة لي ، لا ... بالنسبة لي قد ابتدأت الآن ..

الأم ـ ان كنت لا تحسين نفس احساسه فانسي ما قلته لك . ولكن ان كنت تحبينه فلا تحاولي خنق هذا الحب معتقدة انه سيؤلمني . انني راضية عنه .

اديلا ـ (تكتم نحيبها) حلّفتك بأسمى ما تحبين... ان تسكتي . قد لا تعرفين مقدار الاسى الذي تسببينه لي عندما تقولين هذه الكلمات اليوم... اليوم بالذات .

الأم ـ (تمسك شمعتها لتخرج) ليس عليّ ان احدد لك طريقا معينا . اردت ان اقول لك فقط : اذا كنت تختارين هذا الطريق ، فلن اكون عقبة . هذي هي سنة الحياة (تخرج . تنكب آديلا على مقعد وهي

تفكر بالحاح . وعيناها مسمرتان . في عتبة الباب على اليمين تبدو الحاجة . وتتأملها كما لو كانت تسمعها تفكر) . .

الحاجة وآديلا

آديلا ـ أن أختار طريقا ! . . لماذا انتزعوني من الطريق الذي كنت قد اخترته ، اذا لم يكن باستطاعتهم أن يعوضوني خيرا منه . (بقلق وهي تنزع المنديل عن عنقها) وهذا المنديل الذي يحيط بعنقي كذكرى المساء .

(تبدو فجأة أنها اتخذت قرارا . تضع المنديل ثانية ويبدو عليها انها ستنهض . توقفها الحاجة برفق ، وهي تضع يداً آمرة على ظهرها) .

الحاجة ـ لا يا آديلا ، هذا لا . هل تعتقدين ان النهر ، يمكن ان يكون حلا ؟

آديلا ـ آه لو كنت اعرف ، أنا نفسي ، ماذا اريد . البارحة كان يبدو لي كل شيء سهلا . واليوم لم أعـد أرى الا جدارا من الظلال تهصرني .

الحاجبة ـ البارحة ما كنت تدركين بعد انك محبة .

آديلا ـ أهذا هو الحب ؟

الحاجبة ـ كلا . ولكنه الخوف من فقدانه . الحب هو ما كنت تحسينه حتى الان دون ان تعلمي بذلك . هذا السر اللطيف هو الذي يملأ دمنا بالدبابيس، وحلقنا بالعصافير .

آديلا ـ لماذا يصفونه سعيدا ، اذا كان مؤلما الى هذا الحد ؟ هل أحسست به ذات مرة ؟

الحاجبة ـ لم أحس به أبدا . ولكننا متلازمان بصورة دائمة تقريبا . وكم أغبطكن انتن اللاتي تستطعن الشعور بهذا الألم الذي يحيط بأجسادكن كنطاق من المسامير ولكن ، لاتوجد واحدة منكن ترغب في نزع هذا النطاق .

آديلا ـ ان حبي أسوأ مما تصفين . انه مثل نار حامية في العروق ، مثل صرخة مدفونة لاتجد سبيلا للخروج .

الحاجبة ـ ربما كنت لاأعرف عن الحب الا الألفاظ التي تحيط به ، وربما لا أعرفها كلها . أعرف أن له في المساء ، تحت اشجار الكستناء ، يدين ناعمتين وصوتاً هادئاً . أما أنا فمن شأني ان اسمع الكلمات الأخيرة اليائسة فقط ،

الـكلمات التي تفكر فيها الفتيات المهجورات عندمـا يبرزن بعيونهن المسمرة ،من فوق جسور الضباب ... الكلمات التي تلفظها شفتان متشنجتان على مخدة واحدة عندما تأخذ الغرفة تمتلىء برائحة الغاز ... الكلمات التي ترددينها ، انت بصوت مرتفع منذ لحظة .

آديلا - (تنهض منتفضة) لماذا لم تدعيني اذهب ؟ لا يزال هناك متسع من الوقت .

الحاجة - (توقفها) اهدئي .

آديلا - لم يبق لي غير هذا الطريق .

(يُرى على البعد تألق المجمرة وتُسْمع جلبة العيد بصورة مبهمة) ..

الحاجة - كلا . ليس هذا طريقك . انظري : لقد جن الليل بالمجامر والاغاني ومارتن ينتظرك في حلبة الرقص .

آديلا - وغدا ... ؟

الحاجة - غدا سيكون طريقك سهلا . . ثقي بما اقول ايتهـا الفتاة . اعدك انك ستكونين سعيدة ، وهذه الليلة ربما كانت أجمل ليلة وأبناها نحن الاثنتين .

(ينزل الاطفال . يتبعهم الجد) ..

الحاجة ، آديلا ، الاطفال والجد

آلدويس ـ لقد أضرمت المجمرة الكبرى ، والقرية كلها ترقص حولهـــا .

دورينا ـ هيا بنا يا جدي ، لقد تأخرنا عن ميعاد الوصول !

فالين ـ (يدنو من الحاجة ومعه تاج من الورود والسنابل) خذي ، لقد صنعته بنفسي

الحاجة ـ اصنعته من أجلي ؟

فالين ـ هذه الليلة ، كل النساء يتزين بمثل هذه الزينة .

دورينا ـ ألن تحضري الرقص ؟

الحاجة ـ يجب ان اتابــع طريقي وقت انبلاج الفجر . سترافقــكم آديلا ، ولن تنفصل عنــكم لحظة واحدة (تنظر اليها نظرة آمرة) اليس صحيحا ..؟

آديلا ـ (تخفض رأسها) أجل ! وداعا ايتها السيدة ! . . . وشكراً !

آلدويس ـ أسنراك حالما نعود ؟

الحاجة ـ لا تتعجلوا ، قبل أن يحين موعدكم يجب ان تنضج كثير من السنابل . وداعا أيها الصغار .

الاطفال ـ وداعا ايتها الحاجة .

(يخرجون برفقة آديلا . الجد يمكث لحظة) .

الجد ـ لماذا كانت تشكرك آديلا ؟ .. اتعرف من انت ؟

الحاجة ـ سوف تمضي كثير من السنين قبل ان تعرفني .

الجد ـ أليست هي التي كنت تبحثين عنها هذه الليلة ؟

الحاجة ـ هذا ما كنت اعتقده ايضا . وقد اتضح لي الآن خطئي .

الجد ـ اذن لماذا بقيت هنا ؟ ماذا تنتظرين !

الحاجة ـ لا أستطيع الاياب وحـــدي . لقد قلت لك إن امرأة من اهل بيتك متوجة بالازهار سترافقني هذه الليلة عبر النهر . ولكن لا تخف .

الجد ـ (ينظر اليها نظرة الشك) لا أصدقك . انك تبحثين عن الاطفال . اعترفي بذلك ؟

الحاجة ـ لا تخف أيها الجد . ان احفادك سيصبح لهم احفاد . هيا الحق بهم (تمسك عصاها وتسندها على عمود الباب) .

الجد ـ ما تصنعين ؟

الحاجة ـ اسندت العصا على الباب كعلامـــة وداع . عندما تعود من الرقص ستكون مهمتي قد انتهت . (بلهجة حازمة) والآن دعني . هذه آخر كلمة انطق بها الليلة .

(يخرج الجد . فترة صمت طويلة . الحاجة وحدها

تنظر تاج الورود نظرة كئيبة . وأخيرا تتألق عيناها.
تضع التاج على شعرها . تأخذ مرآة من منضدة آديلا،
وتتأمل نفسها بفضول نسائي . ابتسامتها تصبح
باهتة . تترك المرآة تسقط تنزع الورود وتشرع في
تفتيتها بدون مبالات ، وعيناها شاردتان . اثناء ذلك
تسمع في مكان المجامر ، اغاني عيد القديس يوحنا
الشعبية).

صوت رجل ـ مولاي يوحنا
ان زهرة السنبلة
تريد ان تثمر
عاش الرقص . الرقص
وعاش الراقصون

جوقة ـ مولاي يوحنا

صوت نسائي ـ مولاي يوحنا
مع زهرة الماء
جئت اغنيك
عاش الرقص . الرقص
وعاش الراقصون

جوقة ـ مولاي يوحنا ...

(يسود الصمت من جديد . الحاجة تجلس وظهرها الى نهاية المسرح ومرفقاها على ركبتيها ، ووجهها بين يديها . في باب نهاية المسرح تظهر بصورة خاطفة ، فتاة ذات جمال منهوك . غطاء الرأس يحجب نصف وجهها . تتفحص البيت . ترى ظهر الحاجة ، وتخطو خطوة خائفة نحوها . الحاجة تناديها بصوت مرتفع دون ان تلتفت اليها) ...

الحاجة ـ أنخيليكا !

الحاجة وأنخيليكا

انخيليكا ـ (تتراجع مضطربة) من عرفك على اسمي ؟
(الحاجة تنهض وتلتفت اليها) .. اني لم أرك من قبل أبداً .

الحاجة ـ وأنا لم أرك ايضاً . ولكني كنت أعلم انك ستأتين ، ولم أشأ ان تجدي بيتك مقفراً . هل رآك أحد عندما وصلت ؟

انخيليكا ـ لم يرني أحد . ولهذا انتظرت حلول الليل ، كي أخفي نفسي عن أعين الناس . أين أمي وأين اخوتي ؟

الحاجة ـ ومن الخير ألا يروك هم ايضاً . هل تواتيك الجرأة أن تنظري اليهم وجهاً لوجه؟
ماذا يمكنك أن تقولي لهم ؟

انخيليكا ـ لن تخونني الألفاظ ... سوف ابكي راكعة ، وهم سيفهمون .

الحاجة ـ ومارتن ايضاً ؟

انخيليكا ـ (بخوف غريزي) وهل هو هناك ؟

الحاجة ـ انه في حفل العيد . يرقص بالاشتراك مع الجميع حول النار .

انخيليكا ـ ليس بالاشتراك مع الجميع ، لا ... هذا غير صحيح . يمكن ان يكون مارتن قد نسيني اما امي فلن تنساني . اني متأكدة انها كانت ستنتظرني طوال حياتها يوماً فيوماً ،دون ان تعد الساعات . (تنادي) يا أمي ... يا أمي ..

الحاجة ـ من العبث أن تنادي ، قلت لك انها في الحفل ..

انخيليكا ـ اريد ان أراها قبل أي شيء . اعلم انها ستكون ارهب لحظات حياتي . وليس لدي من القوة ما يجعلني انتظرها مزيداً من الوقت .

الحاجة ـ عم جئت تبحثين في هذا البيت ؟

انجيليكا ـ عما كان ملكي .

الحاجة ـ لم ينتزعه احد منك ؛ لقد هجرته انت بنفسك .

انجيليكا ـ لست أزعم اني سأجد حباً اصبح الآن مستحيلا . لكني سأجد العفو . او على الأقل زاوية اموت فيها بسلام . لقد دفعت ثمن خطئي مرارة أربع سنوات تعادل مرارة حياة بأكملها .

الحاجة ـ لقد تغيرت حياتك خلال هذه الفترة . الم يخطر ببالك كم يحتمل ان يكون قد تغير خط حياة الآخرين ؟.

انجيليكا ـ على الرغم من كل ذلك فهذا البيت بيتي والاهل اهلي لا يمكنهم ان يغلقوا في وجهي الباب الوحيد الذي تبقى امامي !

الحاجة ـ أيائسة الى هذا الحد انت ؟

انجيليكا ـ لم أعد احتمل المزيد . لقد عانيت أقسى ما تعانيه امرأة . فقد عرفت مرارة الهجر والوحشة ؛ ورأيت نفسي أنتقل من يد الى يد كورقة نقدية قذرة . كانت الكبرياء فقط تشد أزري . وقد فقدتها الآن ايضاً . لقد هزمت ولست اخجل ان اعترف على الملأ بذلك.

لم اعد اشعر الا بالقلق القاتل لاستريح في ركن هادىء .

الحاجة – لقد اضنتك الحياة كثيراً . لما كنت قد اقدمت على التخلي عن كل شيء مقابل شهوة معينة ، فليس باستطاعتك ان ترجعي كما يرجع الكلب الجبان في يوم بارد ، لتلتقطي فتات مائدتك ذاتها . اتعتقدين ان مارتن يمكنه ان يفتح لك ذراعيه مرة اخرى ؟

انخيليكا – (يائسة) بعدما عانيت ما عانيته ، ماذا يستطيع ان يصنع بي مارتن ؟ ان يحطم وجهي بالعصا ؟ ذلك خير لي ... على الاقل سأتألم ألماً ظاهرا . ان يرمي لي بالخبز الى الارض ؟ سوف آكله راكعة ، وانا اباركه لانه خبزه ، وخبز هذه الارض التي ولدت عليها . لا ، لا ، لن تكون هناك قوة بشرية تنزعني من هنا . هذه الاغطية وشيتها بنفسي ، وورود النوافذ هذه غرستها بيدي . انه بيتي ، بيتي ، بيتي...
(تنتحب وهي ترتجف على المنضدة . تقبل الاغطية وهي في حالة يائسة . فترة صمت تسمع اغنية العيد مرة اخرى)...

صوت رجل - مولاي يوحنا
ان النجوم ،
على وشك الافول
عاش الرقص ، الرقص ،
وعاش الذين يرقصون
جوقة - مولاي يوحنا ...
(تقترب منها الحاجة برفق وهي تمر يدها على شعر أنخيليكا . بصوت حنون) ...
الحاجة - قولي يا أنخيليكا : خلال هذه الايام المظلمة ألم تفكري أبدا بأمكان وجود طريق آخر ؟
انخيليكا - (مغفية على المنضدة دون ان تلتفت) كل المسالك كانت مسدودة امامي ..
فالمدن كبيرة جدا ، وهناك لا أحد يعرف احدا ..
الحاجة - طريق عذب صامت كان بامكانك ان تشقيه بنفسك ..
انخيليكا - لم يكن لدي من القوة لاعمل شيئا . (منقبضة) ومع ذلك ليلة هجرني ...
الحاجة - (بصوت ذي ايحاء عميق ، كما لو انها تتابع تفكير انخيليكا بصوت مرتفع) تلك الليلة فكرت ان في العالم الآخر ، في الجانب الثاني من الخوف ، تكمن

بلاد العفو الاخير ، ذات البرد الابيض الهـــادىء ،
حيث توجد ابتسامة سلام على جميع الشفاه ، صفاء
لا نهائي في العيون ... ما أحـــلى النوم ، هناك ،
بهدوء دائم وبدون الم ولا نهاية .

انخيليكا ـ (تلتفت لتنظر اليها خائفة) من أنت ايتها المرأة التي
تقرأين ما يجول في داخلي ؟

الحاجة ـ اني صديقة حميمة . الصديقة الوحيدة التي تبقت لك .

انخيليكا ـ (تتراجع بصورة لاشعورية) اني لم اطلب صداقتك
ولا نصيحتك . دعيني ولا تنظري الي هكذا .

الحاجة ـ هل تؤثرين أن تعرف أمك واخوتك الحقيقة ؟

انخيليكا ـ الم يعرفوها بعد ؟

الحاجة ـ لم يعرفوها . انهم يتصورونك اطهر مخلوق،ولكن،
راقدة في قاع النهر .

انخيليكا ـ هذا مستحيل . لقد تبعني مارتن حتى شاطىء النهر .
فقد رأيناه يخب به حصانه ، ونحن مختبئتان بين اشجار
الكستناء ، بندقيته على كتفه ، والموت كامن في
عينيه .

الحاجة ـ ولكنه عرف كيف يضبط نفسه ويسكت .

انخيليكا ـ ولماذا سكت ؟

الحاجة ـ من اجلك أنت . لانه كان لايزال يحبك ، وذلك الصمت كان آخر هدية يستطيع ان يقدمها إليك .

انخيليكا ـ مارتن فعل هذا .. من اجلي ..؟ (متشبثة بحبال الأمل) . اذن هو يحبني .. انه مايزال يحبني .

الحاجة ـ لقد فاتك الوقت الآن .. ان مكانك قد شغل .الا تحسين وجود امرأة اخرى في هذا البيت ؟

انخيليكا ـ انها ان تسلبني ما املكه بدون عناء . اين هذه المرأة .؟

الحاجة ـ من العبث ان تقفي ضدها . انك مهزومة سلفا .فقد فقدت كل شيء ، فقدت مكانك حول المائـــدة ، ومقعدك قرب النار ، وحب ذويك لك .

انخيليكا ـ أستطيع أن استعيد كل ذلك .

الحاجة ـ لقد تأخرت كثيرا . اصبح لامك ابنة اخرى ، ولاخوتك أختٌ ثانية .

انخيليكا ـ انك تكذبين .

الحاجة ـ (مشيرة الى منضدة الخياطة) أتعرفين شغل التطريز هذا؟

انخيليكا ـ انه لي . فقد تركته مبدوءاً .

الحاجة ـ ولكن الآن ، فيه خيوط جديدة . لقد اكمله أحد ما بعدك . اطلي على هذا الباب هل تبصرين شيئاً على وهج الجمرة ؟

(انخيليكا تتجه صوب باب نهاية المسرح . اما الحاجة فتظل مكانها) ..

أنخيليكا ـ أرى أهالي القرية جميعاً ،يرقصون وايديهم متشابكة .

الحاجة ـ هل رأيت مارتن ؟

أنخيليكا ـ إنه يمر الآن ازاء اللهب ..

الحاجة ـ والفتاة التي ترقص معه ؟ لو رأيتها على القرب لتحققت من ثوبك الذي تلبسه ومن منديلك الذي تضعه حول عنقها .

ألنخيليكا ـ اني لاأعرفها ليست من هنا .

الحاجة ـ سرعان ما ستكون من هنا .

ألنخيليكا ـ (تعود الى قرب الحاجة)لا ، لا ... انهاقسوةبالغة. لايمكن ان تسلبني كل ماأملك. لابدان يبقى شيء ما لي. أيستطيع أحد أن يسلبني أمي؟

الحاجة ـ أمك ليست بحاجة اليك . لها منك ذكراك . وهذه الذكرى أفضل منك ..

أنخيليكا ـ واخوتي ... : ان أول كلمة تعلمها اصغرهم كانت أسمي . لازلت أراه راقداً بين ذراعي تعــلوه تلك الابتسامة الصغيرة التي كانت تتحدر بين شفتيه كقطرة العسل في ثمار التين اليانعة .

الحاجة ـ لم تعودي بالنسبة لاخوتك سوى كلمة. أتعتقدين انهم سيعرفونك ؟ إن أربع سنوات هي فترة طويلة في حياة الطفل . (تقترب منهــا بود) فكري بالأمر يا أنخيليكا : لقد حطمت هذا البيت مرة عندما ذهبت، فهل تبغين تحطيمه مرة أخرى عند عودتك ؟.

أنخيليكا ـ (مغلوبة على أمرها) الى أين أستطيع الذهاب ، ان لم يكن ...؟ .

الحاجة ـ الى انقاذ الشيء الوحيد الذي تبقى لك ، ألا وهو الذكرى.

أنخيليكا ـ مافائدة ذلك ، ان كانت تلك الذكرى مزيفة ؟

الحاجة ـ ماذا يهم ، مادامت جميلة ؟ ان الجمال لون ثانٍ من ألوان الحقيقة .

أنخيليكا ـ كيف أستطيع إنقاذها ؟

الحاجة ـ سوف أهديك السبيل . تعــالي معي ، وستتحقق اسطورة القرية غداً ..

(تمسك يدها) هيا .

ألنخيليكا ـ دعيني .. ان فيك شيئاً يخيفني...

الحاجة ـ ألم يهدأ روعك ؟ أنظري اليّ : كيف ترينني الآن؟ (تظل بلا حراك ويداها متصالبتان) .

انخيليكا ـ (تتأملها مبهوتة) أراك كحلم كبير بدون أجفان. ولكنه كل مرة يزداد جمالا .

الحاجة ـ السر كل السر يكمن هنا . الاساس : ان يعيش المرء حياة عاطفية ، ثم يموت موتا جميلا . (تضع على رأسها تاج الورود) هكذا . كأنك ذاهبة الى عرس جديد .. تشجعي يا أنخيليكا . . لحظة واحدة من الجرأة ثم تظل ذكراك مغروسةً في القرية مثل شجرة سنديان مليئة بالأعشاش هيا بنا .

انخيليكا ـ (تغمض عينيها) هيا بنا . (تتردد عند بدء السير).

الحاجة ـ لازال الخوف يساورك ؟

انخيليكا ـ الآن لا .. انها ركبتاي اللتان تسترخيان دون ارادة مني .

الحاجة ـ (بحنان لا نهايـــة له) استندي عليّ . وهبيني خير ابتسامة لديك ، من اجل السفر (تمسكها من خصرها

بعذوبة) سوف اقود قاربك الى الضفة الاخرى .
(تخرج معها . في الخارج يأخذ وهج الجمرة يخبو ، تسمـع الأغنية الاخيرة) .

صوت رجل ـ مولاي يوحنا
لم يعد لدينا
مانشعل به الجمرة
عاش الرقص
وعاش الذين يرقصون .

جوقة ـ مولاي يوحنا ...
(تسمـع نفخة المزمار ثانية ، صرخات مرحـة وضوضاء ناس يهلون تدخل المحتفلة ١ وهي تركض تتبعها المحتفلات الأخر والفتيان . وراءهم : آديلا ومارتن) .

آديلا ، مارتن ، الفتيان

محتفلة ١ ـ لا اتركه ... أنا اول من رآه .
محتفلة ٢ ـ اقذفه لي .
محتفلة ٣ ـ بل لي أنا ، لاني لست مخطوبة .

محتفلة ١ ـ انه لي ، لقد عثرت عليه عندالشاطىء .

آديلا ـ على أي شيء عثرت ؟

محتفلة ١ ـ على غصن النفل ذي الأوراق الاربع .

فتى ٣ ـ لن يجديك هـذا شيئاً . لأن حيازته ليست لمن عثر عليه ، بل لمن يلتقطه .

محتفلة ٢ ـ اغمض عينيك واقذف به في الهواء .

محتفلة ١ ـ خذيه انت يا آديلا ، فقد كان في حديقتك .

آديلا ـ (وهي تتلقاه بصدّارتها) اني أشكرك .

مارتن ـ (الى محتفلة ١) لشد ما حالفك الحظ هذا العام .

(تصل الأم وتيلفا ، ثم الجد مع الاطفال) ...

المذكورون ، الام ، تيلفا ، الجد واخيرا كيكو

الام ـ ماذا بكم هل أعياكم الرقص ؟

تيلفـــا ـ بالرغم من خمود السنة النار ، فان الجمر سيظل متوهجاً حتى الفجر .

محتفلة ١ ـ أنا ، إذا لم آخـــذ قسطا من الراحة فلن استطيع الاستمرار (تجلس) .

تيلفـــا ـ آه ، ان شباب اليوم لـيّن مثل نبـات الخطمي .

يبدون انهم سيقطعون الأرض مرحاً ولكن عندما تقرع الدفوف ، لا يحركون ساكناً ، ولا يعرفون كيف يهزون خصورهم ومناديلهم على ايقاع النغمات العالية . آه . يا أيام زماني !

آديلا ـ اذاهبة لتنامين ايتها الأم ؟ يمكنني أن أرافقك .

الام ـ لا تنشغلي من أجلي فاني أستطيع المكوث لوحدي. عد الى الرقص معها يا مارتن وانت يا تيلفا ، قومي على رعاية الفتيان اذا كانوا يريدون الشرب . أما النساء فيوجد في الخزانة نبيذ (تأخذفيصعودالسلم) . .

مارتن ـ لمن هذه العصا الملقاة عند الباب ؟

الجد ـ (يوقف آديلا التيتهم بالخروجمع مارتن) انتظري : هل رأيتم أحداً هنا وانتم تدخلون البيت ؟

آديلا ـ لم نر أحداً . ولكن لماذا ؟

الجد ـ لست ادري . حقا ان هذه الليلة هي أقصر لياليالسنة ومع ذلك ، لم أشعر أبداً بمثل هـــذا القلق لرؤية شروق الشمس .

تيلفـــا ـ بعد قليل ستشرق . ها هو الفجر قد بدأ ينبلج . (في الخارج يسمع صوت كيكو وهو يصرخ) . .

كيكو ـ سيدتي ، سيدتي ..

(الجميع يلتفت مذعوراً . يصل كيكو . يتكلم من عند عتبة الباب وهو يرتجف من التأثر ووراءه يأخذ في الظهور رجال ونساء حاملين مصابيح ومشاعل ويقفون عند نهاية المسرح في صمت مهيب) ..

كيكو ـ سيدتي . قد تحقق اخيراً ما كنت تنتظرينه . لقد عثروا على انخيليكا عند النهر .

مارتن ـ ماذا تقول ؟

الأم ـ (تعـــدو نحوه مشرقة الوجه) .. أرأيتها انت ؟ تكلم ؟

كيكو ـ لقد جاؤا بها من هناك ، وهي اكثر جمالاً من اي وقت مضى ... متوجة بالورود محفوفة بجلال اربع سنوات قضتها في المـاء تعلوها ابتسامة رضيّة كما لو انها فارقت الحياة لتوها .

اصوات ـ يا لها من معجزة ، يا لها من معجزة ..

(تخر النساء راكعات ، يكشف الرجال عن انفسهم).

الأم ـ (وهي تقبل الثرى) كان لا بد ان يستجيب لي الله اخيراً عاد الترابُ إلى التراب .

(ترفع ذراعيها) .. حبيبتي أنخيليكا . أيتها القديسة .

النساء - (يغطين رؤوسهن بالحجاب وهن يضربن صدورهن).
قديسة ، قديسة ، قـــديسة ! (الرجال الظاهرون
والنساء الراكعات يبدون بلا حراك كأنهم لوحات
معلقة . تسمع دقات اجراس العيد بعيدة خافتة .
الحاجة التي تتصدر المو ْكب تتأمل المنظر بابتسامة
باردة ولكن بصورة عذبة ، ثم تأخذ عصاها ، لتتابع
سيرهـــا .
تدخل في عتبة البـــاب قوائم محفـــة مغطاة
بالأغصان الخضر . الأم ، ذراعاها مبسوطتان ،
تطلق صرخة يمزقها الألم والسرور) .

الأم - بنيـــتي ..
(قرع الأجراس يرتفع الى النغمة التي تغنى بها : هليلويا .)

★ ★ ★

تصويب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الصفارة معطلة	الحوريةالشاردة	٧	١١-١٢
باسيدتي	ياسيدتي	١٠	٩
مادا	ماذا	١٠	١٦
منه	منه !	١١	١٧
ينتصّب	ينتصيب	٤٠	٩
يُلمع	يَلمع	٤٢	٧
أنني	إنني	٤٧	١٤
تنفسي	تنفسي	٥٧	١٢
ما في	أما في	٥٩	٨
سأوى	سأرى	٦٥	١٧
محبواتهم	محبوباتهم	٩١	٣
محاصبلي	محاصيلي	٩٧	٢
ـلى	بـلى	١٠٣	٨
نتعفن	تتعفن	١٠٣	١٢
الأربقى	الأريفي	١١٥	٥
باجدي	ياجدي	١٢٩	٤

٢٠٠٠ / ٧ / ١٩٦٦

وزارة الثقافة والارشاد القومي

سَيِّدةُ الفجرْ

يعتبر اليخاندرو كاسونا من كبار كتاب المسرح في الادب الاسباني الحديث ،وهو ينتمي الى مدرسة لوركا الفنية ويعد صنواً لبرانديللو واونيل .

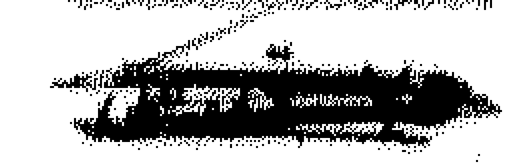
ولد عام ١٩٠٣ ودرس المسرح وعمل في فرقة مسرحية مع لوركا وسواه.

كتب اولى مسرحياته عام ١٩٣٣ ، وبعد نشوب الحرب الاهلية في اسبانيا عام ١٩٣٦ اقام في امريكا اللاتينية حتى وفاته عام ١٩٦٤ .

اشهر مسرحياته : « سيدة الفجر » و « القارب بدون صياد » و « الحورية الشاردة » . في هذه المسرحية « سيدة الفجر » يعرض الكاتب مشكلة الموت ، تلك المشكلة الازلية عرضاً تشيع فيه روح التفاؤل العذبة وتشرق فيه ابتسامة الامل الانساني الجميل ، ويتحول فيه الجمال الى « لون آخر من ألوان الحقيقة » .

وقد نقل المعرب هذا كله الى القارىء نقلا حرص فيه على ان يكون وفياً لحق اللغة الاسبانية التي نقل عنها ولحق الكاتب الذي اعجب بفنه ولحق اللغة العربية التي نقل اليها فاستطاع ان يجلو للقارىء صورة مشرقة لاثر رائع من آثار الادب الاسباني .

سعر النسخة



دمشق

١٩٦٦